CORE
Metadata, citation and similar papers at core.ac.uk
Provided by University of Malaya Students Repository

المقـدمـة

وتتضمن الآتي:

١- بيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

٢- خلفية مشكلة البحث وأهميتها.

٣- أسئلة البحث.

٤- أهداف البحث.

٥- منهج البحث.

٦- بيان خطة البحث.

٧- الدراسات السابقة.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[2].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[3].

أولاً: أسباب اختياري للموضوع:

من الدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

١. إن الإمام الفاكهاني – رحمه الله– أحد العلماء البارزين في العصر المملوكي الأول في القرن الثامن فقد كان محدثا وفقيها وأصوليا، ومن علماء العربية والنحو.

---

(١) النساء: ١.

(٢) الأحزاب: ٧٠

(٣) هذه خطبة الحاجة، التي كانت النبي – ﷺ – يعلمها أصحابه، وقد أفرد فيها محمد ناصر الدين الألباني **رسالة خاصة** المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٧م.

٢. سعة اطلاع الإمام السيوطي- رحمه الله -، وتنوع موارده ومعارفه حيث يعتبر أحد العلماء البارزين في العصر المملوكي الثاني في القرن التاسع.

٣. الإمام السيوطي هو العالم الوحيد الذي قام بالرد على الإمام الفاكهاني في قضية المولد وذلك من خلال تأليفه للكتاب.

٤. توضيح موقف الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني في المولد النبوي.

٥. معرفة الظروف التاريخية المحيطة بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني.

٦. الإشارة إلى تتبع تاريخ وتطورات ظهور بعض الاحتفالات التي لها رواج بين المسلمين مثل الاحتفال بالمولد النبوي.

ثانيًا: خلفية مشكلة البحث وأهميتها:

إنَّ الحفاظ على مصادر التشريع الإسلامي من كل وافد غريب مهمة تقع على عاتق كل أفراد هذه الأمة دون استثناء، وذلك لأجل الحفاظ على معالم العقيدة الصحيحة التي تشكل حجر الزاوية في بناء الإنسان فكريًا وحضاريًا، ولم يرحل نبينا محمد - ﷺ - إلا وقد اكتملت معالم الدين الإسلامي الحنيف بأبعادها المختلفة قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فعند رجوعنا إلى كتب التاريخ نجد إن نشأة هذه الموالد كانت في عهد الدولة الفاطمية في مطلع القرن السابع الهجري حيث أقامت عدة احتفالات وأعياد ومنها عيد المولد النبوي، حيث كانت بداية هذه الحركة في أفريقية حيث نجحت في إقامة دولة قوية وهي الخلافة الفاطمية التي تزعمها عبيد الله المهدي الذي يدعي انتسابه إلي بيت النبوة وأظهر محبتهم ومولاتهم لبيت النبي - ﷺ- كذبًا وبهتانا.

(١) المائدة: ٣.

وقد تحققت أعظم انتصارات الفاطميين علي يد المعز لدين الله الفاطمي، فلا شك إن فتحهم مصر في سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م هو أعظم انجازاتهم التي حفظت لهم مكانا بارزا في التاريخ.

فقد وصلت الخلافة الفاطمية في أوائل حكم المستنصر إلى أقصى اتساع لها وكانت تضم مصر والشام وشمال إفريقيا وصقلية والشاطئ الإفريقي للبحر الأحمر والحجاز، بما فيه مكة والمدينة، واليمن وعمان والبحرين والسند، ولكنها سرعان ما هوت بعد ذلك، فعند موت المستنصر سنة ٤٨٧ هـ/١٠٩٤م كانت الدعوة الإسماعيلية قد تمزقت إلى أجزاء، حيث أصبح تاريخ الفاطميين صراعاً داخلياً بين ولاة الأقاليم حول منصب الوزارة، وإلى هذه الحقبة يرجع بداية استعانة الوزراء بملوك وأمراء الدول المجاورة من السنة والفر نج لتمكنهم من الحكم أو مساندة بعضهم البعض، مما أدى تطلع هذه القوة إلى الاستيلاء على مصر، حتى نجح صلاح الدين الأيوبي في وضع نهاية للدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ/١١٧١م وأعاد مصر مرة أخرى إلى دائرة الأقاليم التي يحكمها السنيون وأقام الدولة الأيوبية.

وإذا كانت الدولة الفاطمية هدفها هو: بسط نفوذها وسيادتها على كل الأراضي الإسلامية فمع ذلك لا نجد وأحدا من خلفائهم أدى فريضة الحج رغم حرصهم الشديد على إقامة الدعوة لهم على منابر مكة والمدينة، وإنما وجهوا اهتمامهم إلى إحياء بعض المظاهر الإسلامية بفخامة وبذخ داخل عاصمة ملكهم ومنها عيد المولد النبوي الذي كان له طابعه الخاص في الاحتفال وكان يعقدون له جلسات ومواكب من العلماء والملوك وقد وصف لنا بعض الكتاب كأمثال المقريزي وصف لهذا الجلوس على هذه المواكب من الملوك والعظماء.

فبسقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية والمملوكية حيث كان لها طابعها الديني الجديد في تغير المعالم الدينية لهذه الاحتفالات وقمع جذورها، فكان الإمام تاج الدين الفاكهاني أحد العلماء البارزين في الدولة المملوكية في العصر الأول في مطلع القرن الثامن فكان له وجه نظره الخاصة في هذا الاحتفال حيث كان الطابع السياسي للدولة طابع الأمن والاستقرار والطمأنينة وكانت العلاقة بين الحكام والعلماء قد حظيت بتقدير سلاطين المماليك، حيث كان

محط العلماء ومواكب طلاب العلم فشهدت هذا العصر مجموعات من الكتب الضخمة في كل جوانب المعرفة ولعل من أبرز العلوم في ذلك الوقت هو علم التاريخ.

على العكس من العصر المملوكي الثاني حيث وصف بأنه عصر الضعف، قد كثرت فيها القلاقل والفتن والتكالب على المناصب، وعدم الاستقرار، فكثير منهم لم يمكث في السلطة إلا شهورا معدودة حيث تفشى فيهم خلع السلاطين وقتلهم، وكان الإمام السيوطي أحد العلماء البارزين في ذلك العصر فكانت العلاقة بين العلماء والحكام علاقة متحفظة، وطابعها العام المقاطعة وإن كان ثم لقاء بينه وبينهم، وضع الإمام السيوطي نفسه في مكانته التي يستحقها وسلك معهم سلوك العلماء الأتقياء، فإذا لم يقع سلوكه منهم موقع الرضا قاطعهم وتجاهلهم وكان لهذه العلاقة المضطربة بينه وبين بعض علماء عصره، وما تعرض له من اعتداء في الخانقاه البيبرسية أثر في اعتزال الإفتاء والتدريس والحياة العامة ولزوم بيته في روضة المقياس على النيل.

لذا أصبح من الضرورة بمكان دراسة مفهوم: المولد النبوي عند الإمام السيوطي من خلال كتابه (حسن المقصد في عمل المولد[1]) والذي بين فيه موقفه من المولد النبوي، والذي كان ردا على الإمام تاج الدين الفاكهاني في كتابه (رسالة المورد في عمل المولد[2]) دراسة تحليلية وافية تكشف عن مختلف جوانبه وأبعاده من النظر في بداية المولد النبوي والظروف التاريخية المؤثرة عليه.

ثالثًا: أسئلة البحث:

س١: كيف كانت بداية ظهور المولد وما هي تطوراته.

س٢: ما موقف الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني من المولد النبوي.

س٣: لماذا اتخذ الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني هذا الموقف.

س٤: ما الظروف التاريخية المحيطة بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني.

---

(١) السيوطي، جلال الدين، **حسن المقصد في عمل المولد**ج١ص١٨١، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ج١ مصطفى عبد القادر عطا.

(٢) الفاكهاني، تاج الدين الفاكهاني، **رسالة المورد في عمل المولد** ج١ص ١٧، ط١، ١٩٨٧م، ت: علي حسن عبد الحميد.

رابعًا: أهداف البحث.

١- أن نبين تاريخ ظهور هذا الاحتفال وتطوره وأسباب انتشاره

٢- أن نوضح ونحلل موقف الإمام السيوطي من المولد النبوي وسبب اتخاذه لهذا الموقف.

٣- أن نوضح موقف الإمام الفاكهاني من المولد النبوي وسبب اتخاذه لهذا الموقف.

٤- أن نتعرف على الظروف التاريخية المحيطة بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني

خامسًا: منهج البحث

اتبعت في بحثي المنهج الوصفي والتحليلي على النحو التالي:

المنهج الوصفي والمكتبي من خلال التعريف بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني بالاطلاع على بعض الكتب والمؤلفات، ثم مناقشة تاريخ ونشأة المولد النبوي وتطوراته التاريخية ومن ثم مناقشة موقف الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني من خلال عرض أدلتهم ومنا قشتها والظروف التاريخية المحيطة بهم للإمام الفاكهاني في العصر المملوكي الأول، والإمام السيوطي في العصر المملوكي الثاني.

والمنهج التحليلي من خلال تحليل بعض الكتب والمؤلفات والرسائل العلمية التي عرفت بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني والكتب والمؤلفات التي ألفت في الموالد النبوية ومعالجتها من الناحية التاريخية وتطورات نشأتها في العصر الفاطمي والعصر المملوكي وتحليل مصادرها التاريخية التي منها نشأ موقف الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني في قضية المولد النبوي وذلك من خلال البحث في المكتبات: مكتبة جامعة ملايا ومكتبة الملك فهد بالرياض، ومكتبة الملك عبد العزيز ومكتبة الملك عبد الله الرقمية، ومكتبة الملك سعود بالرياض، والموسوعة الشاملة.

سادسًا: خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن تكون في ثلاثة فصول وفي كل فصل مبحثان وخاتمة

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن حياة الإمامين وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العصر الذي عاش به الإمام السيوطي وسيرته الذاتية.

المبحث الثاني: العصر الذي عاش به الإمام الفاكهاني وسيرته الذاتية.

الفصل الثاني: البدعة مفهومها وأنواعها وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهومها وأنواعها.

المبحث الثاني: الظروف التاريخية.

الفصل الثالث: موقف الإمام السيوطي وانتقاده للإمام الفاكهاني وفيه مبحثان

المبحث الأول: موقف الإماميين من المولد النبوي.

المبحث الثاني: الظروف التاريخية المحيطة بهما.

سابعًا الدراسات السابقة:

عند الرجوع إلى مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، وسؤال أهل الاختصاص وطلبة العلم والرجوع إلى الفهارس العامة والخاصة المطبوعة والالكترونية تأكد لي أن موضوع بحثي لم يسجله من قبل كرسالة علمية، إلا أني وجدت أغلبها دراسة وتحقيق لمؤلفات الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني أما ما بحث في موقفهما من المولد النبوي فلم أعثر على أحد من الباحثين كتب فيها أو ناقش القضايا التاريخية المتعلقة بالمولد النبوي في العصر الفاطمي والعصر المملوكي، واليكم بعض الرسائل ذات الصلة بموضوع بحثي أو قريبة منه.

١-الاحتفال بمولد النبي - ﷺ - ومظاهره في العالم كتاب من تأليف محمد خالد ثابت، القاهرة، الناشر: دار المقطم للنشر والتوزيع، ط١، سنة٢٠١١م. وهو كتاب قيم حيث

تحدث فيه عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف؛ كيف بدأ الاحتفال به ومظاهر هذه الاحتفالات عبر التاريخ في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي، ثم مظاهر الاحتفال في العصر الحاضر في حوالي خمسين دولة من دول العالم إسلامية وغير إسلامية.

٢- البدع الحولية للباحث عبد الله بن عبد العزيز التو يجري – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ١٤٠٦هـ - حيث اشتملت رسالته الماجستير إلى مقدمه وتمهيد وتسعة فصول وخاتمه.

حيث أجد أنها تتفق مع رسالتي بالمولد النبوي حيث انه تحدث عن المولد النبوي من ناحية دينية وبداية ظهوره في عهد الدولة الفاطمية أما أنا فقمت بمناقشة ذلك من ناحية تاريخية من العصر الفاطمي والعصر المملوكي.

٣- البدعة عند علماء الحديث وأثرها في الرواية للباحث: علي أحمد عبد الباقي- كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية تخصص دقيق (دراسات إسلامية – علم الحديث) سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

حيث اشتملت رسالته إلى مقدمة وتمهيد وسبعة فصول وخاتمه.

حيث أجدها اتفقت مع رسالتي من حيث الحديث عن البدعة مفهومها وأقسامها حيث نجد أن الباحث أطنب في الحديث عنها لأنها مجال بحثه.

٤- المعجزات والخصائص النبوية للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق ودراسة - للباحث: أحمد بن علي بن محمد بن معمر ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م جامعة أم القرى – مكة المكرمة: قسم الباحث الرسالة على مقدمة وقسمين رئسيين وخاتمه. القسم الأول للدراسة والقسم الثاني للتحقيق.

حيث قسم الباحث القسم الأول إلى بابين أولهما للتعريف بالمؤلف وفيه الكلام على ترجمته والباب الثاني فيه دراسة مفصلة عن الكتاب من خلال القسم المحقق والقسم الثاني: قسم التحقيق.

وهذه الدراسة لها علاقة في بحثي في القسم الأول من الرسالة: عن حياة الإمام السيوطي وشيء من عصره لكن لم أجده متوسعًا في الترجمة لحياته من ناحية اللقب والكنية والعصر الذي عاش به، أما في بحثي فقد ذكرت شيء من الإيجاز في تعدد ألقابه والكنية وقسمت عصره إلى نواحي منها الاجتماعية والسياسية والعلمية وهذا مما أضفته في بحثي، أما القسم الثاني فليس له علاقة به حيث قام بعرض بعض الأحاديث المتضمنة لمعجزات النبي -ﷺ- وصدق نبوته وخصائصه التي تميز بها عن غيره من البشر.

٥- الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن للباحث- محمد يوسف الشربجي – جامعة الزيتونة – تونس ٢٠٠٩م – حيث اشتملت رسالته إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

حيث أنه اتفق مع رسالتي في الحديث عن حياة الإمام جلال الدين السيوطي حيث انه قسم الباب الأول إلى فصلين. الفصل الأول تحدث عن السيوطي من النواحي الثلاث: السياسية والاجتماعية والعملية

الفصل الثاني: فقد تحدث عن حياة الإمام السيوطي.

٦- تحقيق ودراسة جزء من كتاب: رياض الإفهام في شرح عمدة الأحكام لتاج الدين الفاكهاني، ت ٧٣٤هـ من أول الكتاب إلى نهاية المواقيت من كتاب الصلاة – الباحث: بدر بن ناصر بن سلمان العمر ٢٠٠٥م. حيث اشتملت الرسالة على قسمين الأول قسم الدراسة والتعريف بالمؤلف والترجمة للمؤلف، أما القسم الثاني وفيه النص المحقق ثم الخاتمة.

فهو يوافق بحثي من حيث التعريف بالمؤلف تاج الدين الفاكهاني من حيث سيرته العلمية والعصر الذي عاش فيه وهذا مجال بحثي، أما القسم الثاني فليس له علاقة في بحثي.

٧- تلخيص العبارة في شرح الإشارة للفاكهاني للباحث- أسماء محمد عساف العساف –كلية التربية بالرياض ١٩٩١م حيث قسمت الباحثة رسالتها العلمية إلى قسمين وخاتمة في القسم الأول تناولت التعريف بالإمام الفاكهاني وهو مجال بحثي دون التطرق إلى عصره أما القسم الثاني فليس له علاقة في بحثي حيث تناولت الرسالة من ناحية أدبية.

ومع وجود هذه الدراسات السابقة عن الإمام السيوطي والفاكهاني فقد تميزت دراستي في هذا البحث عن الدراسات السابقة من خلال موقف الإمام السيوطي من المولد النبوي وانتقاده للإمام الفاكهاني وذلك في:

١- تتبع المولد النبوي في الدولة الفاطمية والدولة المملوكية.

٢- عرض أدلة الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني في قضية المولد النبوي.

٣- موقف الإمام السيوطي والإمام الفاكهاني من المولد النبوي.

٤- الظروف التاريخية المحيطة بالإمام السيوطي والإمام الفاكهاني.

الفصل الأول

لمحه تاريخية عن حياة الإماميين

المبحث الأول:

عصر الإمام السيوطي- رحمه الله – وسيرته.

المبحث الثاني:

عصر الإمام الفاكهاني – رحمه الله- وسيرته.

تمهيد:

يعد التاريخ ديوان المواعظ والعبر، ومكمن الجواهر والدرر، فيه سنن الله وأيامه، وقد أمر الله تعالى بالاعتبار والنظر في أحداث التاريخ، ونواميس الكون، وأحوال الأمم فقال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]، وقال سبحانه ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[2].

إن سنن الله في الهزيمة والانتصار لا تتبدل ولا تتحول، قال سبحانه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[3]، ولهذا فإن فيما وقع بين المسلمين والتتار عبرةً عظيمة لنا في هذا الزمان الذي نستقبل فيه هجمات شرسة من التتار الجدُد من اليهود والنصارى والهندوس الذين تداعوا على البلاد الإسلامية لتدمير معتقداتها، ونهب ثرواتها.

بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد لم يعد في العالم الإسلامي تجمع دولة إلا أن دولة المماليك والتي حكمت مصر والشام والحجاز أصبحت أقوى دولة في ذلك الوقت، بالإضافة إلى أنهم أعادوا الخلافة العباسية في مصر شكليًا ليضفوا الشرعية على حكمهم، وعند العودة إلى أصل المماليك، فهم من جنسيات متعددة ومن مناطق إسلامية مختلفة منها بلاد التركستان وبلاد القوقاز، وآسيا الصغرى، وبلاد ما وراء النهر.

والمماليك يقسمون إلى قسمين: القسم الأول: المماليك البحرية: وهم الذين جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة، ثم اختار منهم فرقة للأسطول سميت "الفرقة البحرية" ولذلك سُموا المماليك البحرية.

---

(١) **آل عمران** آية ١٣٧.

(٢) **الحج** آية ٤٦.

(٣) **الأحزاب** آية ٦٢

والقسم الثاني: المماليك البرجية وهم شراكسة اشتراهم السلطان قلاوون لتدعيم حكمه، وتم له ما أراد إلى أن استولوا هم على الحكم من أحفاده الذين جاءوا بعده. وسمى المماليك البرجية بهذا الاسم لأن السلطان قلاوون أسكنهم في أبراج القلعة.

وشهد عام (٦٤٨هـ) سقوط دولة الأيوبيين لتحل محلها دولة المماليك حكام الدولة الأيوبية ومن الدول القوية التي عاصرت الحكم المملوكي الدولة العثمانية التي أسسها عثمان بن أرطغل سنة (٦٩٩هـ)، وهى من الدول التي أعادت أمجاد المسلمين في الفتوحات وخاصة فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح ويضاف إلى ذلك فتوحهم وانتصاراتهم على التحالف الأوربي في معارك "فارنا"، و"قوصوه".

وهذا بالطبع لا ينفى أن المماليك كانوا أبطالا مجاهدين أكملوا المسيرة التي بدأها السلاجقة في حرب الصليبيين. وحققوا انتصارات عليهم، وقاموا بعد ذلك بتصفية الوجود الصليبي في مصر والشام. ويكفيهم فخرًا أنهم أوقفوا زحف التتار على مصر والشام والحجاز بانتصارهم الساحق في معركة "عين جالوت" التي تعد من أعظم معارك التاريخ الإسلامي، وإلى جانب إنجازات المماليك العسكرية في القضاء على بقايا الصليبيين، بالإضافة إلى الانجازات الحضارية وخاصة في مجال الفنون والعمارة والآثار. وتطوير نظام الحسبة والقضاء، وفى مجال العلوم والمعارف فقد حفل العصر المملوكي بأكبر عدد من المؤرخين الكبار فلم يجتمع مثل هذا العدد من عمالقة التاريخ في أي عصر من العصور التي مازالت مؤلفاتهم ملء السمعة والبصر ومنهم: ابن خلكان صاحب "وفيات الأعيان"، والإمام جلال الدين السيوطي صاحب "تاريخ الخلفاء"، وتاج الدين الفاكهاني والرحالة الشهير ابن بطوطة، وابن النفيس وشمس الدين الذهبي وغيرهم، فمن الفخر أن نتكلم عن أحد هؤلاء الأعلام في هذه الرسالة الذين عاصروا الدولة المملوكية وهو جلال الدين السيوطي أحد العلماء البارزين في العصر المملوكي الثاني، وتاج الدين الفاكهاني أحد العلماء البارزين في العصر المملوكي الأول فقد أفردت لهم الباب الأول وهو على مبحثين:

المبحث الأول

عصر الإمام جلال الدين السيوطي وسيرته الذاتية

أ- عصره:

١- الحالة السياسية:

لقد كانت دولة المماليك من الناحية السياسية الداخلية، قد كثرت فيها القلاقل والفتن والتكالب على المناصب، وعدم الاستقرار[١]، فكثير منهم لم يمكث في السلطة إلا شهورًا معدودة حيث تفشى فيهم خلع السلاطين وقتلهم أما سياستها الخارجية مع جاراتها فكانت علاقتها طيبة مع أغلب الدول.

لذا نجد إن الإمام السيوطي عاصر ١٣سلطانًا مملوكيًا، وكانت علاقته بهم متحفظة، وطابعها العام المقاطعة[٢]، وإن كان ثمة لقاء بينه وبينهم، وضع نفسه في مكانته التي يستحقها، وسلك معهم سلوك العلماء الأتقياء، فإذا لم يقع سلوكه منهم موقع الرضا قاطعهم وتجاهلهم، فقد ذهب يومًا للقاء السلطان الأشرف قايتباي وعلى رأسه الطيلسان "ثوب وكساء" فعاتبه البعض، فأنشأ رسالة في تبرير سلوكه أطلق عليها "الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان".

وفي سلطنة طومان باي الأول حاول هذا السلطان الفتك بالسيوطي، لكن هذا العالم هجر بيته في جزيرة الروضة[٣]، واختفى فترة حتى عُزل هذا السلطان وكان بعض الأمراء يأتون لزيارته،

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة** ج١ص٣٤٠، الناشر: دار الكتب العلمية، ط ١، سنة ١٣٨٧هـ، ت: أبو الفضل إبراهيم.

(٢) الغزي، نجم الدين الغزي، **الكواكب السيارة** ج ١ص ٢٢٨، الناشر: محمد أمين بيروت، سنة ١٤١٨هـ، وضع حواشيه خليل منصور.

(٣) المقريزي، تقي الدين أبي العباس المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ج ٢ص ١٨٥، الناشر: مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

ويقدمون له الأموال والهدايا النفيسة، فيردها ولا يقبل من أحد شيئا، ورفض مرات عديدة دعوة السلطان لمقابلته وألف في ذلك كتابًا أسماه: "ما وراء الأساطين في عدم التردد على السلاطين".

وكان لهذه العلاقة المضطربة بينه وبين بعض علماء عصره، وما تعرض له من اعتداء في الخانقاه البيبرسية أثر في اعتزال الإفتاء والتدريس والحياة العامة ولزوم بيته في روضة المقياس على النيل[1]، وهو في الأربعين من عمره، وألف بمناسبة اعتزاله رسالة أسماها "المقامة اللؤلؤية"، ورسالة "التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس.

٢- الحالة الاجتماعية:

أما الحياة الاجتماعية، فقد غلبت عليها الطبقة الاجتماعية غير أن فئة من العلماء كانت تتمتع الهيبة والوقار واحترام السلاطين وتقديرهم لشانها، وكلمتهم كانت مسموعة إلا ما كان في آخر عصر المماليك الذي أصابه في التدهور، فظهرت آثار سلبية على أهمية كبار طبقة المتعلمين.

٣- الحالة الاقتصادية:

فإنَّ دولة المماليك استطاعت أن تسيطر على التجارة العالمية بين الشرق والغرب عن طريق مصر التي أصبحت محطة للتجارة العالمية، حتى كان عصر السيوطي عصر الانتعاش الاقتصادي لمصر، وانعكس ذلك في شكل ثراء وبذخ نادرين على حياة الحكَّام والناس من الناحية العمرانية والثقافية، والحياة المعيشية بوجه عام، فبنو القصور والدور، والمعالم العمرانية التي تتسم بالفن المعماري الرفيع، وأقاموا الجوامع والمدارس والخوانق والبيمارستانات والمكتبات، وأوقفوا عليها الأوقاف.

فأصبحت مصر لذلك محط رحال العلماء، وطلاب العلم، يقبلون عليها من كل حدب وصوب، وكان لمعالم الثقافة التي امتلأت بها الديار المصرية، واهتمام المماليك بها، دور كبير في

---

(١) ابن الزيات، شمس الدين محمد، **الكواكب السائرة** ج١ص ٢٢٨، سنة ١٤٢٦هـ.

صقل موهبة السيوطي وزيادة إنتاجه الإبداعي[1]، ولـــمَّا كانت أسرة السيوطي من الأسر البارزة في المجتمع آنذاك، فقد أنجبت عددًا من الأشخاص الذين يتمتعون بالنجابة، وهم أهل علم ووجاهة ورياسة، وكان السيوطي أفخر ما يكون بوالده الذي كان على قدر كبير من الذكاء والثقافـــة وحب العلم كما تعد الحالة الاقتصادية، مصدرًا مهمًا من مصادر تنمية الإبداع فالسيوطي علـــى الرغم من أنَّ خصومه نعتوه بالفقر والعوز، لكنَّه وجد من يهتم به من أصدقاء الوالـــد، ومـــن خلال البحث في حياة السيوطي، أظهرت النتائج أنَّه كان ميسور الحال، أو على أقل تقدير كان متوسط الحال.

٤- الحالة العلمية:

ينحدر الإمام السيوطي من أسرة عرفت بالتقوى والورع، وتوارثت الاهتمام بالعلم والدين فنشأ الإمام السيوطي نشأة علمية، بل غشي مجالس العلم وسرح العلماء منذ كان صبيا، فحفظ القران من عمر ثمان سنوات حيث انه تميز بحافظة قوية وحفظ عمدة الأحكام، ودرس الفقـــه بالجامع الشيخوني ثم تقدم إلى الإفتاء وإملاء الحديث بالخانقاه الشيخونيه كما تـــولى مشـــيخة التصوف بتربة برقوق ثم إلى مشيخة الخانقاه البيرسية ومنها انقطع عن جميع أعمالـــه الســـابقة وتجرد إلى العبادة والتأليف حيث انه كان مفتونًا باللغة العربية، شغوفًا بها، حريصًـــا عليهـــا، مأخوذًا بجزالتها وسلاستها، يقول: "إن الفنون العربية على اختلاف أنواعها هـــي أول فنـــوني ومبتدأ الأخبار التي كانت في أحاديث سَحَري وُشجوني"[2].

كما حفظ كتب التنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، وتهذيب الفروع للإمام البغوي، وروضـــة الطالبين، والمنهاج للنووي[3]، وجميعها في الفقه الشافعي، وعمدة الأحكام[4] للشيخ الحافظ تقي

---

(١) د: نجاح الظهار، **مصادر الإبداع عند جلال الدين السيوطي** ج١ص١١، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض-، ط١، ٢٠٠٤م.

(٢) السيوطي، جلال الدين، **الأشباه والنظائر في النحو** ج١ص٥، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، سنة ١٩٨٨م.

(٣) حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ج٢ص ١٨٧٣، الناشر: دار الفكـــر بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـــ.

(٤) هناك عدة كتب بهذا العنوان أحدهما في الفروع لابن قدامه الحنبلي ٦٦٠هـــ، والحديث لابن دقيق العيد ت ٧٠٢هـــ وهـــذا هو المقصود، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المرجع السابق ج٢ص١١٦٤.

الدين المقدسي في الحديث الشريف، ومنهاج الأصول للبيضاوي[1] في أصول الفقه، وألفيه ابن مالك[2].

ومن وقف على هذه الكتب أدرك قوة ذاكرة السيوطي ودرجة الوعي الذي بلغه كما لمس الصبر الذي يجب أن يكون عليه من يتصدى للحفظ والاستذكار.

ب- اسمه ولقبه وكنيته ونسبته

١- اسمه[3]:

عبد الرحمن بن كمال الدين بن محمد سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الدين السيوطي المصري الشافعي.

ويقول في كتاب آخر: "عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي"[4].

وقد تحدث معاصره السخاوي عن اسمه فقال: عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد بن أبي بكر عثمان بن محمد بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين السيوطي الأصل الطولوني الشافعي[5]، وذكر السيوطي والعيد روسي أنه: سمي "عبد الرحمن"[6]

---

(١) **المصدر نفسه** ج٢ ص ١٨٧٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ج١ص١٣٠، الناشر: دار الفكر، ط١، سنة ١٣٨٤هـ، ت: محمد أبو الفضل.

(٣) البغدادي، إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين**، ج٢ ص ٩٣، طبع بعناية وكالة المعارف في مطبعتها البهية استانبول سنة ١٩٥١م.

(٤) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، المرجع السابق ص ١٨٨.

(٥) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ج ٤ص٦٥، الناشر: دار مكتبة الحياة -بيروت ط١.

(٦) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، ص ٣٢، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، ط١، سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ت: هيثم خليفة طعيمي، شوقي ضيف، **المدارس النحوية** ص ٣٦٢، ١٤٠٩الناشر: دار المعرفة سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، العيد روسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، **تاريخ النور السافر عن أخبار القرن**

وهو غالبية أكثر المصادر.

٢- لقبه:

جلال الدين وبه اشتهر. . وقد تحدث هو نفسه عن مسألة اللقب فقال: "ولقّبني والـــدي جلال الدين، والألقاب المحمودة لها أصل في الشرع"(١).

ولعلّ لقب جلال الدين صار مقرونًا باسم السيوطي وملازمًا له، فما ذكر اسم السيوطي إلا مقرونًا ومتصدرًا بلقب "جلال الدين".

وهنالك لقب آخر لا يعرفه الكثيرون أورده العيد روسي: ". . . وكان يلقب بابن الكتب لأن أباه كان من أهل العلم، واحتاج لمطالعة كتاب فأمر أمه أن تأتيه بالكتاب من بين كتبـــه فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته"(٢).

٣- كنيته:

قال السيوطي: ". . . وأما الكنية فلا أدري هل كنّاني والدي أم لا؟ ولكن لّما عرضتُ على صديق والدي وحبيبه شيخنا قاضي القضاة عز الدين أحمد إبراهيم الكناني الحنبلي كنّـــاني أبـــا الفضل فإنه سألني ما كنيتك؟ فقلت: لا كنية لي فقال: أبو الفضل وكتبه بخطّه"(٣).

ثم يواصل السيوطي حديثه عن هذه الكنية مُؤصّلاً لها "وأوّل من تكنّى بهذه الكنية العباس عم النبي ﷺ ورضي الله عنه وكانت زوجته تكنى أم الفضل"(٤).

وقال آخر يكنى "أبو الفضل"(٥)، وهو غالبية أكثر المصادر.

العاشرص٤٥، الناشر: دار المكتبة العربية بغداد، سنة ١٩٣٤م.

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٢٣٦.

(٢) العيد روسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، **تاريخ النور السافر**، المرجع السابق ص٥٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٢٣٦.

(٤) العيد روسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، **تاريخ النور السافر**، المرجع السابق ص٥٤.

(٥) ابن عماد، أبو الفتوح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ج٤ص٧٤، الناشر: دار ابن كـــثير، ســـنة ١٤١٦هـــ، ت: محمود الأرناؤوط.

٤- نسبه:

قال السيوطي: "كان الوالد يكتب في نسبه السيوطي، وغيره يكتب الأسيوطي وينكر كتابة الوالد، ولا إنكار بل كلا الأمر صحيح، والذي تحرر لي بعد مراجعة كتب اللغة ومعاجم البلدان ومجاميع الحفّاظ والأدباء وغيرهم أن في سيوط خمس لُغات: أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثليث السين"[١].

قال ابن السمعاني في "الأنساب": "أُسيوط بضم الألف وسكون السين المهملة وضم الياء المنقوطة بنقطتين من تحت وفي آخرها طاء مهملة، بلدة بديار مصر في الريف الأعلى بالصعيد ومنهم من يقول بإسقاط الألف"[٢].

وقال ياقوت الحموي في "معجم البلدان" في حرف السين: "سيوط بفتح أوله، وآخره طاء كورة جليلة من صعيد مصر"[٣].

٥- مولده:

ما كادت شمس اليوم الأول من شهر رجب تغرب حتى أطلّ على الدنيا طفل نابه نابغ، أشاع البهجة والسرور في نفوس أسرته، وأقبل على الناس شيخًا جليلاً ملأ الدنيا علمًا وعملاً وبركة، وكانت هذه الحقبة التي عاشها كانت مليئة بالعديد من العلماء الذين شاركوا معه وأسهموا في ميدان الإبداع أمثال البرهان الحركي وأحمد بن محمد القسطلاني، وقد ترجم الشيخ لمولده فقال: "كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة"[٤].

مما تقدم ذكره يتضح لنا التاريخ الحقيقي لميلاد السيوطي لتطابق هذه الروايات الثلاث[٥].

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص١٢.

(٢) السمعاني، محمد بن منصور، **الأنساب** ج١ص١٥٩، الناشر: دار الجنان بيروت، ١٩٨٨م، تعليق: عبد الله البارودي.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان ج١ص٥١٣**، الناشر: دار الفكر بيروت.

(٤) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٣٢.

(٥) يقول عن مولده في كتابه "حسن المحاضرة"ج١ص١٨٨: "وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة"، ويقول صاحب "النور السافر ص: ٥٤": "وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب

٦- أسرته:

ينحدر من أسرة عرفت بالتقوى والورع، وتوارثت الاهتمام بالعلم والدين ويحدثنا عن أجداده ووالده موضحًا الوظائف والمراكز التي تبوءوها في تربية المجتمع، يقول: ". . . وأخبرني ابن عم والدي المشار إليه، واسمه نور الدين علي بن جمال الدين عبد الله بن سابق الدين أبي بكر، عن أسلافه أن جدنا الأعلى الشيخ همام الدين كان أحد مشايخ الصوفية وأرباب الأحوال والولايات، وأنه كان مبتدأ أمره على طريق غير مرضية، وأنه حجّ فلمّا أحرم وقال: لبيك وسعديك، لبيك اللهم لبيك، سمع صوتًا: لا لبيك ولا سعديك. . فتاب من ثمّ وأقلع ورجع إلى بلاده، فأقبل على التزهد والعبادة مدة، ثم حجّ مرة أخرى فلمّا أحرم وقال: لبيك اللهم لبيك، سمع صوتًا: لبيك وسعديك، ولجدّنا هذا ضريح بأسيوط يزار ويتبرك به"[١].

ثم يواصل السيوطي الحديث عن أجداده مبينًا الوظائف التي شغلوها في دواوين الحكومة، يقول: ". . . وأما من دون جدي المذكور من أجدادي، فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة، منهم من ولى القضاء بأسيوط، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو وبنى مدرسة بأسيوط ووقف عليها أوقافًا. ويُحكى أنه سأل الأمير شيخو أن يأمر البنّاء الذي بنى مدرسته بالصليبية أن يذهب معه إلى أسيوط فيبني له مدرسة نظيرها، فأجابه إلى ذلك، ومنهم من كان تاجرًا متجولاً.

ولا أعلم فيهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والدي"[٢].

٧- جده الأعلى:

فإنه ينسب إلى محله معروفة في شرق بغداد وقد هاجر جده الأدنى إلى مصر، واستقر في أسيوط ربها ولد كمال الدين و لم ينجب سواه[٣]، وذكر"إن بعض من أمر به قد حدثه سماعا عن

سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة".

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٢٣٦.

(٢) **المصدر نفسه** ص ٦.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٦.

أبيه إن جده كان أعجميا بينما قال بعض مقاماته ردا من تعرض لأصله بـــان أســـرته عربيـــة النجاد، تنتسب لبعض الصحابة، و لم يذكر القبيلة التي ينتمي إليها، ولا الصحابي الذي ينتسب إليه واخبرنا أن هذه الأسرة كانت من أهل الوجاهة بالمال، والتجارة إلا ما كان من الجد الأعلى فانه كان من (أهل الحقيقة)، ومن (مشايخ الطرق[1])".

٨- والد السيوطي كمال الدين:

ولد في نحو ٨٠٧هـــ، وقد تلقى العلم على شيوخ أسيوط ثم انتقل إلى القاهرة[2]، وتـــولى نيابة القضاء في كلتا المدينتين وقرا على الحافظ ابن حجر العسقلاني[3] والعلامة زين الـــدين أبي بكر إسحاق بن خالد الكخناوي البارع في مختلف العلوم ولازم الشيخ العلامة شمـــس الـــدين القاياتي، فأخذ عنه الكثير في الفقه، والأصول واللغة، والمنطق، وعلم الكلام، وأجاز بكل ذلك سنة ٨٢٩هـــ لما وجد من براعته وتوفقه، وكان بذلك أول من اشتغل بالعلم من هذه الأسرة، وكان له في فن الإنشاء والبيان مكانة مرموقة، وهو الذي كتب للخليفة المعتضد بـــالله عهـــده بالخلافة لأخيه المستكفي بالله سليمان وقد درس الفقه بالجامع الشيوخنية، وكان خطيب بجامع ابن طولون وأفتى سنين، وتلقى عن العلم جماعة من الأعيان، منه العلامة ابن مصيفح وقاضـــي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، وقاضي القضاء محيي الدين بن تقي الدين وشيخ المالكية النـــور السنهوري، ومع هذه المنزلة الرفيعة التي كانت له في المجتمع، إلا انه كان يغلب عليـــه حـــب الانفراد، وعدم الاجتماع بالناس، فلم يكن يتردد على أحد من الملوك، والأمراء إلا على الخليفة المستكفي بالله[4]، لما كان بينهما من صداقة، ومحبة زايدة، وكان على جانب كبير من الـــدين،

---

(١) **المصدر نفسه** ص٦.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء** ص٤٧٧، الناشر: دار الكتـــب العلميـــة بـــيروت، ط١، ســـنة ١٤١٨هـــ، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع الســـابق ج٢ص ٥٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ٧٧٣- ٨٥٢هـــ، مولده ووفاته بالقاهرة، كان حـــافظ الإســـلام في عصـــره. الشوكاني محمد بن محمد علي بن عبد الله، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ج١ص ٧٩، الناشـــر: دار الفكر سنة ١٤١٩هـــ، ت: حسين عبد الله العمري.

(٤) سليمان بن المتوكل المستكفي بالله، ولي الخلافة سنة ٨٤٥هـــوتوفي عام ٨٥٤هـــ، الســـيوطي، جـــلال الـــدين

والورع، عزيز النفس كريما، يحسن إلى الفقراء ويعين ذي الحاجة.

فقد كان الشيخ برهان الدين بن ظهيرة في أول عمره متملقا خاملا، فآواه وانفق عليه وعلمه وقدمه إلى الكبار وسعى له بالمرتبات حتى أصبح قاضي مكة المكرمة وشيخ علماء الحجاز وواحد من أشهر الأغنياء، وبيته مقصد الحجاج المصريين، والوافدين إلى مكة المكرمة، لما يجدونه من السخاء والكرم، وقد ترك هذا الوالد عدد من المؤلفات في الفقه، والقراءات، والنحو والصرف وغيرها، وكانت له مكتبة خاصة، حافلة بنفائس الكتب في كل علم وفن توفي سنة ٨٥٥هـ.

٩- الأم:

فلا نعرف عنها إلا أنها كانت جركسية من أصل فارسي[١]، وقيل أنها أعجمية كما المح في مقاماته " طرز العمامة " إلي إن أصلها من جركس، بينما ذكر الذين ترجموا له أنها أم ولد تركية[٢]، وان العمر قدم تقدم بها، حتى فجعت بوحيدها، وبنت له ضريحا لائقا، وكانت تكثر زيارته، حتى آتها اليقين، ودفنت إلى جانبه، وحسبها أنها كانت راعية هذا اليتيم، ومرشدته إلى طريق العلم، وإنها كانت معه من المهد إلى اللحد ورأته عملاقا خالد الذكر بين أعلام المسلمين.

في هذا البيت الكريم ولد السيوطي سنة ٨٤٩هـ، وتفتحت مداركه على أب عاكف على القراءة، والكتابة يصل ليله بالنهار لا يكاد الكتاب يفارقه إلا لضرورة. . . بل لقد قيل: "إن أمه جاءها المخاض حين كانت تناول زوجها كتابا من الكتب الضخمة، فصار يقال لذلك الولد: ابن الكتاب، ينتدرون بذلك. . ، وكان هذا القول وصفا رائعا لحياة هذا الولد، وعنوان صحيحا عليها. . ، وما اشتد عوده حتى صحب والده، وهو في الثالثة من عمره، إلى مجلس العلامة الحافظ ابن حجر، فكان هذا أول خطوة على درب العلم، فأكرم بذلك. . كما كان

السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، المرجع السابق ص١١.

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **طبقات المفسرين** ص٢١، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة، ط ١٣٩٦هـ ت: على محمد عمر.

(٢) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **الضوء اللامع**، المرجع السابق ج٤ص ٦٥، العيد روسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، **تاريخ النور السافر**، المرجع السابق ص ٥٤.

يأخذ بيده إلى مجالس اقرأنه من أهل الفضل والعلم فيلقى منهم الود والتكريم مما كان له اكبر الأثر في رقية درجات المجد في قابل الأيام، و لم تطل فرحة الأب بوحيده إذا وافاه الأجل فترك والده لليتيم وهو في ربيعه الخامس وسبعة أشهر"[١].

فكانت ألام خير عوض، فأسلمته إلى صديق أبيه الفقيه الحنفي الكبير العلامة الكمال بن الهمام[٢]، ليتولى تعليمه، وتأديبه كرمي لصديقه وتنفيذا لوصية، وعهده إلى أن جاء الأجل ٨١٦هـ وعمر السيوطي ١١ سنة.

ج - ثقافة الإمام السيوطي:

بعد هذه الدراسة الجادة أحاط الإمام السيوطي بفنون المعرفة، وتعمق بفروع علوم الشريعة حتى تفرد بين اقرأنه، وغدا وأحدا من العلماء الخالدين، وهو بكل ذلك قدير فقد تبحر في التفسير والحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة المقدسة، كما وصف بذلك نفسه، فكان السيوطي نابهًا، نابغًا ذا أذن صاغية وجنان متفتح، كما أنه كان كثير الأساتذة والشيوخ مما أهّله أن يصبح عالمًا موسوعيًا يفتي ويحدث ويفصل ويدرِّس في مختلف العلوم والمعارف. يقول السيوطي عن هذه النعم التي رزقها: "قد رزقت ولله الحمد التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع على طريق العرب البلغاء لا على طريق المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة بحيث إن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف والفرائض والإنشاء والترسل"[٣].

ويقول أيضًا: "ومهرت في النحو بحيث طالعت فيه كتبًا جمّة وعلقت فيه تعليقات كثيرة

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص٣٣٦.

(٢) كمال الدين ابن الهمام: محمد بن عبد الواحد عبد الحميد ٧٩٠-٨٦١هـ، كان علاما محققا جدليا نظارًا. السيوطي جلال الدين، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص٤٧٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٢٠٢.

وأظن أن الكتب العربية التي وقفت عليها لم يقف عليها غالب أهل العصر ولا كثيرُ ممن قبلهم"[1].

هذه هي العلوم التي تبحّر فيها السيوطي وسبر غورها ثم نجده يعترف أن هنالك جهابذة فاقوه في الإنشاء والترسل يقول: ". . . فلا أقول إن مرتبتي في الإنشاء والترسل تبلغ مرتبة الشهاب محمود ولا ابن عبد الظاهر، ولا ابن فضل الله بل هي دون ذلك في حد التوسط. أما قولي في الفرائض إنّ معرفتي بها دون ما قبلها، فذلك لأني تبحرت في العلوم السابقة تبحرًا لا يدرك قراره، و لم أتبحر في الفرائض كتبحري في تلك، مع أن معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم"[2].

ويوضح السيوطي أن عدم تبحره في الفرائض لا يعني قصور باعه فيها، بل أنه لم يسبر غورها كتلك العلوم السبعة، يقول: "وقد ظن بعض الناس من قولي إن معرفتي بالفرائض دون معرفتي بالفنون السابقة أني قاصر فيها، وذلك جهل منه، وإنما قولي ذلك أمر نسبي، فمعرفتي بالفنون السابقة كالبحر المحيط ومعرفتي بالفرائض كالنيل بالنسبة إليه، معرفة غيري من أهل العصر كالخليج، بل كجدول الساقية بالنسبة إلى النيل"[3].

ويواصل السيوطي موضحًا مرتبته، ومبلغ علمه في فنون أخرى، يقول[4]: "ودون ذلك المعرفة القراءات، و لم أخذها عن شيخ، فلذلك لم أقرئها أحدًا لأنها في إسناد، وقد ألفت فيها التأليف البديع، ودونها في المعرفة الطب، وأما الحساب فأعسر شيء مع معرفتي به، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضيق منه أخلاقي. ومن ظن أني قلت ذلك قصورًا عنه، فذلك لجهله بمقصودي. وكم من مسألة عرضت عليّ فيها نظمًا ونثرًا فأجبت عنها في الحال! وإنما قصدي بذلك ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته طبعي، وأما التاريخ فسكت عنه، و لم يذكر تبحره فيه، والواقع يؤكد أن له مقاما مذكورا بين مؤرخي عصره فلا تكاد تذكر جهابذة هذا العلم، من

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص١٣٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٢٠٤.

(٣) **المصدر نفسه** ص٢٠٤.

(٤) **المصدر نفسه** ص٢٠٤.

أمثال الصفدي والذهبي وابن تغري بردي، والسخاوي، وابن عربشاه، وابـــن إيـــاس، ومـــن طبقاتهم، إلا وتذكر السيوطي معهم فقد كان وأحدا من تلاميذ مدرسة الدراسات التاريخية التي أنشاها العلامة ابن خلدون في مصر، إلا إن منهجا خاصا متميزا يقوم على أثره بعلم الحديث".

أما سائر فنون الثقافة، فحسبك للتدليل على مدى إحاطته بها إن ترجع إلى المقامات، فتراه فيها يتكلم على لسان الجدلي، والمنطقي وعالم الفلك، والرياضيات، والطب، وغيرهم مستخدما مصطلحات كل علم منها بسهولة ويسر، بل ربما أورد مصطلحات أكثر من علـــم في المقامـــة الواحدة، ولو أن أحدا جمع هذه المصطلحات، لقدم معجما لغويا اصطلاحيا لمختلف العلـــوم والفنون عز نظيره.

هذه هي ثقافة السيوطي، كما يشهد عليها ما تركه من مؤلفـــات. . . . فمـــن أيـــن اكتسب كل ذلك؟

١- يرجع ذلك إلى بيته لأننا رأينا أباه منوع الثقافة، عميق الإطلاع، وترك له مكتبة تحوي نفائس الكتب.

٢- كما إن لشيوخه الأثر الكبير في تكوينه الثقافي لأننا لو رجعنا إلى ترجمـــة كـــل وأحد منهم لوجدناه بحر علوم لا تعكره الدلاء.

٣- العصر الذي عاش فيه الإمام السيوطي كان يفرض على من يريد أن يكون مـــن أهل العلم ومبرزا فيه، أن يقف على كل العلوم، والمعارف، إلى جانب العلـــم الذي يريد الاختصاص فيه.

د- منهجه التاريخي:

صنف السيوطي رحمه الله كتبا كثيرة في التاريخ مثل "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" و"تحفة المذاكر في المنتقي في تاريخ ابن عساكر[1]" و"التحفة الظريفة في السيرة الشريفة" و"الشماريخ في علم التاريخ".

كان للسيوطي –رحمه الله– منهج في بحثه التاريخ نستطيع أن نتلمس آثاره في كتبه التي صنفه ما يأتي:

١- كان السيوطي حريصا على ذكر المصادر التي أخذ عنها معلوماته، فبركة العلم نسبة القول إلي قائله، بل هو في التاريخ أكثر ضرورة، نظرا لحاجة التاريخ لمصدر يوثق الحادثة.

٢- يوضح المسألة بإبراز الأقوال التي جاءت فيه والردود التي وردت باسم صاحبه وذلك نظرا لسعة إطلاعه على المرويات والأخبار.

٣- اتبع السيوطي منهج المحدثين بتتبع الأخبار ونقده كما بين ذلك في فصل له بعنوان "فصل في بيان كونه عيه الصلاة والسلام لم يستخلف وسر ذلك " حيث أظهر رأيه في آخر الروايات التي ذكره ودفع المتعارض منه وبين أنه لا منفاه بين الأخبار وهو منهج طبقه أهل الحديث على المرويات واستفاد منه السيوطي في التاريخ.

ولعل من أسباب نجاحه ورقيه في مراقي العلم ما يأتي:

١- استذكار الإمام السيوطي لهذه الكتب فنال بذلك الإعجاب والتقدير وأجازوه بذلك وهو يافع.

---

(١) ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله، محدث الديار الشامية، ومصنف تاريخ دمشق، السبكي، تاج الدين ابن نصر عبد الوهاب المعروف ابن تقي الدين السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى** ج٤ص٢٧٣، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٩٩٩م، ت: مصطفى عبد القادر.

٢- الجلوس على الركب بين أيدي العلماء والتلقي عنهم هذا أمر لا بد منه لإعـــداد العالم الحق.

وقد أثبتت الأيام عظمة نظرة علماء الإسلام وجلال فكرهم حين جعلوا ذلك أمرا فرضا لا محيص عنه لكل من يريد أن يتشرف بلقب العلم وحمل وشاح العلم وهذا النشاط العلمي الذي كان يحياهُ السيوطي عمل على تشكيل فكره وتكوين عقليته ممَّا أكسبه الأصالة والمرونة والقدرة على إيجاد العلاقات بين الأشياء مع المثابرة والصبر إلى جانب الصلابة في مواجهـــة المواقـــف وتحدِّيها والرغبة في التجديد ونبذ الجمود الذي لا يستند على دليل أو برهان.

هـ- الهجوم على السيوطي:

لا يخفى على عاقل أن شخصية مثل شخصية هذا البحر الزاخر لابد وأن تجد أعداء من بين الناس وخصوصًا من منافسيه أصحاب المهنة الواحدة ولله في خلقه شـــؤون حيـــث تعـــرض السيوطي لحملة عواء من بعض أقرانه فما ألَّف مؤلفًا أو صنّف مصنّفًا إلا وأعملوا فيه أقلامهم وأصابوه بوابل سهامهم بحق وبغير حق بل إنّ بعض كتاباتهم قد تجاوزت مرحلة النقد إلى حـــد التجريح الشخصي والتراشق بالألفاظ النابية وكان من ألدّ خصومه ابن الكركي وشمس الـــدين السخاوي وابن الجوجري[1] فقد اتهمه السخاوي في كتابه "الضوء اللامع" بأنه اختلس بعض ما كتبه مثل الخصال الموجبة للضلال والأسماء النبوية والصلاة على النبي ﷺ وغيرها.

إلا إن الإمام السيوطي كان يرد على ذلك بطابع أدبي وألف في ذلك كتاب اسماه (الكاوي في الرد على السخاوي)، وهذا مما يدل على أمانة الإمام السيوطي وأصالته.

وإليك نموذجًا من معاركه مع السخاوي[2] يقول: "هل أتاك خصيصى ومـــا أدراك مـــا خصيصى؟! قرأ قارئ قول القاضي عياض في آخر "الشفا: وأن يخصِّنا بخصيصى زمرة نبينا ﷺ

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **المقامات** ج ١ص ٣٩١، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤٠٦هـــ ت: عبد الغفار البنداري، محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **المقامات، المرجع السابق**، ج١ص ٣٢٨.

وجماعته ويجعلنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته" فقرأ بقوله بخصيصي بالياء الساكنة على أنه تثنيه خصيص وأنا إذ ذاك على ردّ أغاليط الغالطين حريصٌ، فقلت لـه إنمـا خصيصى بألف القصر وأوردت له على ذلك من النقول ما يفوق الحصر فعمد إلى هذا الرجل (يعني السخاوي) يستجيش به الاستنصار ويستنصر به على أولى الأبصار:

والمستجير بعمـرو عنـد كربتـه كالمسـتجير مـن الرمضـاء بالنـار

فكتب له بتصويبه فيما نطق، وفوق سهامه الخائبة ورشق وحاصل ما اعتمد عليه، واستند في إفتائه بذلك إليه أنه وجد في نسخة صحتها في الرتبة العُليا صورة الجزم مرقومة على اليـاء فانظروا بالله إلى هذا الجهل البيّن والحمق الذي ليس بالهيّن ورحم الله شيخنا العلامة الكافيجي إذ قال وقد بلغه هذا الجهل المبين: "هذا افتراءٌ وتقوّل قاله من تلقاء نفسه محونـاهُ مـن دفتـر المخاطبين. وقد ألفتُ في تلك الواقعة مؤلفين: أحدهما: "القول المجمل في الرد علـى المهمـل" والآخر "ألوية النصر في خصيصى بالقصر".

و- شيوخه:

كان السيوطي كثير الشيوخ ففي سنة ٨٦٤هـ بدأ السيوطي مرحلة التلقي عن الشـيوخ فما عرف وأحدا منهم إلا اتجه إليه ولازمه ملازمة جادة طويلة حتى بلغ عدد من أخذ عنـهم العلم والأدب، ومختلف فنون الثقافة نحوا من مئة وخمسين شيخا كان لهم ابعد الأثر في تكوينـه العلمي فإذا أضيف إلى هؤلاء من أخذ عنه العلم بالإجازة دون أن يلقاه بلغ الجميع أكثر مـن ستمائة عالم وألف عنهم سفرا ضخمًا يقول " وأجاز لي خلق من الديار المصـرية والحجـاز وحلب وقد جمعت معجما كبيرا في أسماء سمعت عليه أو أجازني أو أنشدني شعراً فبلغوا نحـو ستة مائة نفس[1]وسوف أسوق أشهر شيوخه الذين أخذ منهم والضابط في اختيـارهم هـو ملازمة السيوطي لهم والجلوس بين أيديهم لفترات طويلة مما كان له الأثر الكـبير في تكوينـه العلمي حتى أخذ منهم العلو الوفير.

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٤٣.

ومن أبرز شيوخه الأجلاء:

١- **جلال الدين المحلي**: الذي أخذ عنه التفسير، وهو صاحب التفسير الذي مات و لم يتمه فأكمله السيوطي وصار يعرف بتفسير الجلالين.

٢- **شمس الدين محمد بن موسى السيرائي**: أول شيوخه في العربية وقد قرأ عليه والعربية في النحو وسائر العلوم العربية.

٣- **علم الدين صالح البلقيني**: حامل لواء الشافعية في عصره، وهو ابرز شيوخه وأكثرهم تأثيرا في حياته العملية وقد لازمه تامة، وتلقى إجازته بالتدريس والإفتاء سنة ٨٦٧هـ وان هذا العلامة الكبير أحاط بالإمام السيوطي بتكريم ما بعده من تكريم وذلك حين حضر أول درس ألقاه في الجامع الشيخوني وهو في الثامنة عشر من عمره.

٤- **شرف الدين يحي بن يحي المناوي**[١]: وقد لازمه بعد وفاة شيخه البلقيني سنة ٨٦٨هـ فكان أستاذه الثاني في الفقه وعلوم الشريعة.

٥- **تقي الدين أحمد بن محمد الشمني**: وقد لازمه أربع سنين بدءا من مطلع سنة ٨٦٨هـ فكان أستاذه الثاني في الفقه وعلوم الشريعة وكان كل منهما معجب بالآخر وقد شهد الشيخ لتلميذه بالتقدم والتفوق وكتب له تقريظا على شرح ألفية ابن مالك[٢]، وعلى كتاب جمع الجوامع، وأما التلميذ، فقد سجل فضل شيخه في سيرة حياته بأحرف من نور الثناء والعرفان بالجميل.

٦- **الشيخ محيي الدين الكافيجي**: فقد قرأ علي السيوطي أربع عشرة سنة وهي أطول مدة لازم فيها شيخا معينا وأخذ عنه التفسير والأصول والنحو وسائر علوم العربية

---

(١) شرف الدين يحي بن يحي المناوي ٧٩٨-٨٧١هـ، شيخ الإسلام وقاضي القضاة وله تصانيف، السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص ٤٤٥، ابن عماد، عبد الحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج٧ص٣١٢.

(٢) نشر هذا الكتاب بشرح ابن مالك ت: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي بجامعة أم القرى سنة ١٩٨٢م.

لقب "أستاذ الوجود" وقال عنه: ما جئته مرة إلا وسمعت منه من التحقيقات ما لم اسمعه قبل ذلك[1].

٧- **سيف الدين محمد بن محمد بن عمر الحنفي**[2]: وهو آخر شيوخه موتا، لأنه توفي سنة ٨٨١هـ وقد أخذ عنه التفسير، والعربية وعلم المعاني.

ولم يكتفي السيوطي – رحمه الله – بالرجال من الشيوخ بل تتلمذ على أيدي كبيرات النساء الفقيهات المحدثات المعاصرات له أمثال[3]:

- أم هانئ بنت أبي القاسم الأنصاري، لما حج سنة ٨٦٩هـ.
- خديجة بنت أبي الحسن، أخت جلال الدين الملقن.
- أم هانئ مريم بنت الشيخ نور الدين أبي الحسن الهوريني، والدة شيخه سيف الدين الحنفي.

ز- تلاميذه:

تتلمذ على يد السيوطي خلق كثير منهم من لازمه من صغره، ومنهم من اقبل عليه بعد أن تقدم به العمر، وهذا مما يدل على تفرده وتبحره[4] ومن أشهرهم:

١- شمس الدين الداودي، صاحب كتاب "طبقات المفسرين" الذي كتبه بمساعدة أستاذه السيوطي.

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج ١ص ٥٤٩.

(٢) ابن عماد، عبد الحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج ٧ص ٣٣٢، السيوطي، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق ج ١ص ٢٣١، السيوطي، جلال الدين، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج ١ص ٤٧٨.

(٣)السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص ٣٤٤.

(٤) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٨٥.

٢- شمس الدين بن طولون.

٣- شمس الدين الشامي، محدث الديار المصرية.

٤- ابن إياس، صاحب كتاب بدائع الزهور.

ح – دينه وورعه:

على الرغم من أن السيوطي كان معروفاً بالتدين والصلاح ولكنه لما بلغ الأربعين تجرد للعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل والاشتغال به والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحدًا منهم وأقام في روضة المقياس فلم يتحول عنها إلى أن مات و لم يفتح طاقات بيته التي على النيل، وكان يرد الأموال النفيسة التي يعرضها عليه زواره من الأغنياء، وقال الزر كلي[1]: "كان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. . . وطلبه السلطان مرارًا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردّها، وبقي على ذلك إلى أن توفي".

ويحدثنا الإمام السيوطي عن الساعات التي يحضرها في الأسبوع فيقول: "كنت اذهب من الفجر إلى درس البلقيني فاحضر مجلسه إلى قرب الظهر، ثم ارجع إلى الشمني، فاحضر مجلسه إلى قرب العصر هكذا ثلاثة أيام في الجمعة: السبت، والاثنين، والخميس وكنت احضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين الحنفي، بكرة ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي"[2].

ط- رحلاته:

ولا بد للعالم من رحلة يطوف بها البلاد بحثا عن كنز علمي، أو نبع معرفة، وثقافة. . . ، وكان هذا ديدن علمائنا، على الرغم من تنائي الديار، ووعثاء السفر، ومخاطر الطريق، وقيام

(١) الزر كلي، خير الدين، **الأعلام** ج٣ص ٣٠١. الناشر: دار الملايين، ط١.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص ٢٤١.

دول وإمارات مستقلة، بينها حروب، ومحن، لقد كانت الرحلة في سبيل العلم، وحرية التنقل في بلاد الإسلام من أعظم مظاهر الدالة على وحدة الأمة، مهما اختلفت الأجناس، والأعراق، وتعددت الحكومات، والدول، وكان الإمام السيوطي على نهج من سلف من العلماء والأعلام، ففي سنة ٨٦٩هـ وتوجه إلى بلاد الشام، والحجاز، للحج[١]، فالتقى بكبار أهل العلم في هذه البلاد فحاورهم، وأخذ عنهم، وأخذوا عنه. . . وفي السنة التالية زار كبرى المدن في مصر، واجتمع بأهل العلم فيها. . ، وكان يسجل ما صادفه في رحلاته من حوادث، ومن قابله من الرجال، فكل رحلة كتاب[٢].

و لم يقم الإمام السيوطي برحلة غير التي ذكرت خلافا لما ذهب إليه عدد من الباحثين المعاصرين. . . . ، وحجتهم أنهم وجدوا في سيرته الذاتية في "حسن المحاضرة "هذا النص "وشرعت في التأليف[٣] في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه، وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام، والحجاز واليمن، والهند، والمغرب والتكرو"فظن هؤلاء الباحثون أن التاء في (سافرت) هي تاء الفاعل، ونسبوا إلى الإمام السيوطي قيامه بالرحلة إلى هذه الأصقاع المتنائية، وليس هذا بدقيق. . . . ، والحقيقة أن (التاء)هي تاء التأنيث، والفاعل يعود إلى مؤلفات السيوطي التي انتشرت في هذه البلاد.

ومما يدل على ذلك ويقويه إن السيوطي قد كتب مؤلفه (التحدث بنعمة الله) بعد سنوات من كتابه (حسن المحاضرة).

ي- أقوال الناس فيه :

كتب كثير من العلماء والمؤلفين عن فضل السيوطي وعلمه ومن ذلك قولهم (. . . وكان

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ج٢ص ٦٥٧، الناشر: دار الكتب العربية سنة١٤٠٦هـ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولي، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي.

(٢) السيوطي، **التحدث بنعمة الله**، المرجع السابق ص٧٩- ٨٠.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج ١ص٣٣٧.

في سرعة الكتابة والتأليف آية كبرى من آيات الله تعالى قال تلميذه الشمس الداوودي: "عاينت الشيخ وقد كتب في يوم وأحد ثلاث كراريس تأليفًا وتحريرًا ومع ذلك يملي الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ورجاله وغريبه واستنباط الأحكام منه"(١).

وقول بعضهم: "السيوطي عالم موسوعي جليل من علماء هذه الأمة السِّباقين إلى التأليف في ميادين كثيرة من فنون المعرفة الإسلامية".

ك- مؤلفاته:

ألف السيوطي في شتى ضروب المعرفة، وكتبه تكاد لا تحصر، وقال بعض المؤلفين: "بلغت مؤلفات السيوطي حين ألّف كتاب "حسن المحاضرة" نحوًا من ثلاثمائة مؤلف ما بين كبير في مجلد وفي كراريس وفي أوراق وفي صفحات بل وفي صفحة واحدة، وقد اختلف الكتّاب في إحصاء عدد مؤلفات السيوطي فيذكر البعض أنها بلغت ستمائة، وذكر آخرون أنها تزيد على أربعمائة، وقد أحصى له فوجدت ٥٦١ مؤلفًا"(٢).

وقال عنه الزر كلي: ". . . إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنّف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة، ونشأ في القاهرة يتيمًا، مات والده وعمره خمس سنوات، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل مترويًا عن أصحابه جميعًا، كأنه لا يعرف أحدًا منهم"(٣).

فالسيوطي كما قلنا من قبل من الأمثلة الواضحة على العقلية الموسوعية فقد ألف السيوطي في شتى ضروب المعرفة، وكتبه تكاد لا تحصر.

وهاأنذا أذكر بعض النماذج من مؤلفات السيوطي في التراجم والسير والتاريخ والطبقات:

---

(١) ابن الزيات، شمس الدين محمد، **الكواكب السائرة**، المرجع السابق ج١ ص٢٨٨.

(٢) العروسي، محمد العروسي، **جلال الدين السيوطي** ص٣٣٩، ١٤٠٦هـ.

(٣) الزر كلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، المرجع السابق ج ٤ص ٧١.

١- تاريخ الخلفاء.

٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة.

٣- طبقات الحفاظ.

٤- طبقات المفسرين.

٥- معجم الشيوخ الكبير، ويسمى "حاطب ليل وجارف سيل ".

٦- المعجم الصغير.

٧- الذيل على إنباء الغمر.

٨- حسن المحاضرة.

٩- مختصر معجم البلدان[1].

وأهم أسباب هذه العطاء العلمي النادر:

١- طموح السيوطي للمجد ورغبته بالتفوق والتصدّر في ساحة الحياة.

٢- البعد عن الحياة العامة والمجاملات الاجتماعية الفارغة التي لا تليق بأهل العلم أصلاً.

٣- كثرة المصادر بين يديه فقد ترك له أبوه مكتبة زاخرة بالمصنفات.

٤- وكان يتردد منذ صغره على المدرسة المحمودية وبها مكتبة كبيرة من أنفس الكتب الموجودة في القاهرة.

٥- أسلوبه في التأليف فهو قد يختار مسألة من مسائل العلم ولو صغيرة فيفردها في رسالة مستقلة.

٦- دخوله في مخاصمة بعض أهل العلم حيث كانت تحفزه على التأليف انتصارًا لرأيه.

٧- وكان مما أعان السيوطي – رحمه الله – على التفرغ للكتابة أنه ظلّ طويلاً متمتعًا بوظيفة المشيخة البيبرسية منذ تولاها أواخر عهد قايتباي وقد كتب الله جلّ وعلا

(١) للوقوف على أسماء مؤلفاته الأخرى انظر: **حسن المحاضرة، والحاوي للفتاوى، وهدية العارفين** ج٥ص٥٣٤-٥٤٤.

لمؤلفاته الانتشار لقد تميز السيوط بموسوعيته فيما يكتب وجمعه للأقوال والنقول في المسألة بحيث يشبعها تحريرًا وتنقيرًا سواء كان الموضوع مخترعًا أم مجموعا.

وكل تلك الأسباب السابقة كانت سببًا في تميزه وتحدّثه بمؤلفاته والافتخار بها.

ل- وفاته:

بعد رحلة عامرة بالعلم والعمل، وعُمر مبارك أنفقه في الطاعات انتقل السيوطي إلى الرفيق الأعلى قال الغزي: "وكانت وفاته رضي الله عنه في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة أحدى عشرة وتسعمائة في منزله بروضة المقياس بعد أن تمرّض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر[1]، وقد استكمل من العمر أحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يومًا وكان له مشهد عظيم ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة وصلى عليه غائبة بدمشق بالجامع الأموي"[2].

وعليه أكثر المصادر أن وفاته كانت بعد آذان الفجر يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الأولى سنة أحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة الشريفة القرافة من جهة الشرق أما ما تدعيه العامة من أنه بأسيوط في الجامع المعروف باسمه فهذا خطأ[3] – رحم الله – السيوطي وجزاه عن المسلمين خير الجزاء.

---

(١) يفسر لنا الطب الحديث انه: انسداد في الشريان.

(٢) الغزي، نجم الدين، **الكواكب السيارة**، المرجع السابق ج ١ص١٢٣.

(٣) ابن الزيات، شمس الدين محمد، **الكواكب السائرة**، المرجع السابق ج١ص٢٣١.

المبحث الثاني

عصر الإمام الفاكهاني وسيرته الذاتية

أ- عصـــره:

١- الحالة السياسية:

عاش الفاكهاني في مصر في الحقبة الممتدة بين سنتي ٦٥٤هـ-٧٣٤هـ، وهي الوقت الذي كان الحكم فيه لسلاطين المماليك إذ ابتدأت دولتهم من سنة ٦٤٨هـ-٩٢٣هـ.

وقد انقسموا خلال هذه الحقبة الزمنية قسمين:

- الدولة البحرية.
- الدولة الجركسية.

ومؤسس الدولة الأولى هو عز الدين أبيك الذي دعم نفوذه بعد أن حقق انتصارا كبيرا على دولة الأيوبيين[١]، وهكذا تمت له السيطرة على الحكم حتى قتل على يد زوجته شجرة الدر سنة ٦٥٥هـ[٢] وخلفه ابنه نور الدين على بن المعز أبيك الملقب بالمنصور، وكان صغير السن مما دعا نائب أبيه سيف الدين قطز إلى إسقاطه وتولى الملك سنة ٦٥٧هـ[٣].

ثم اكتنف البلاد خطر عظيم قاده هولاكو زعيم التتار الذي تمكن من الاستيلاء على دمشق وبقية بلاد الشام متوجها بعد ذلك إلى مصر[٤]، فنادى قطز لرفع راية الجهاد والخروج لصد هذا

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك** ج١ص٣٦٩، الناشر: دار الكتب المصرية -القاهرة- سنة١٩٣٥م، نشر: محمد مصطفى.

(٢) **المصدر نفسه** ج ١ص٤٠١، (القسم الثاني)، قيام دولة المماليك ص١٩٣.

(٣) **المصدر نفسه**ج١ص٤٠٥.

(٤) **المصدر نفسه** ج ١ص٤١٧(القسم الثاني)، قيام دولة المماليك ص ١٤٥.

العدوان[1]، وسار مع جيوشه لاستزاد دمشق فالتقوا بالتتار في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ التي انتهت لصالح المسلمين، وتم القضاء على التتار[2]، ثم دبر الأمير بيبرس مع جماعة من أتباعه مؤامرة لاغتيال قطز بعد عودته من الحرب، فتم له ذلك أواخر سنة ٦٥٨هـ[3].

وبعد وفاته السلطان بيبرس خلفه ابناه أبو المعالي محمد ثم العادل سيد الدين الذي خلع من قبل الأمير قلاوون[4]، ثم تتابع على حكم مصر أربعة عشر ملكا من هذه الأسرة خلال مائة عام.

٢- الحالة الاجتماعية:

كانت الحياة الاجتماعية في مصر حياة صاخبة نشطة دائبة الحركة والتجديد، وقد تمتع الحكام بالجزء الأكبر من خيرات الأرض دون أن يحاولوا الامتزاج بأهلها[5]، واستطاعت بعض فئات المصريين أن يحتفظوا لأنفسهم بمكانة مرموقة في المجتمع ومستوى لائق من المعيشة في حين إن غالبية العوام والفلاحين كانوا يحيون حياة اقرب إلى البؤس والحرمان[6]، واهتم سلاطين المماليك بإنشاء كثير من المنشات الاجتماعية المتنوعة مثل الفنادق والخانات والوكالات والاسبلة والبيما رستانات وعلى الرغم مما كان يتعرض له أهالي القاهرة أحيانا من جراء عدم الاستقرار السياسي إلا أنهم عاشوا عيشة هانئة، فحرصوا على الإقبال على وسائل التسلية بمختلف أنواعها[7]، وكذلك الإقبال على إقامة الأعياد والاحتفالات القومية والحرص على ذلك[8].

---

(١) **المصدر نفسه** ج١ص٤٢٩(القسم الثاني)، قيام دولة المماليك ص ١٥٩.

(٢) **المصدر نفسه** ج١ص٤٣٠-٤٣١(القسم الثاني)، قيام دولة المماليك ص ١٦١.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك** ج١ ص٤٣٥(القسم الثاني)، تاريخ المماليك ص ٤٥، قيام دولة المماليك ص ١٧١.

(٤) علي إبراهيم حسن، **تاريخ المماليك البحرية** ص٤٦٢-٦٦٣، ط٢، ١٩٦٧م.

(٥) د. سعيد عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام** ص ٣٤٩، الناشر: دار النهضة العربية القاهرة، ط٢، سنة ١٩٧٦م.

(٦) **المصدر نفسه** ص٣٤٩.

(٧) **المصدر نفسه** ص ٣٥٠.

(٨) **المصدر نفسه** ص ٣٥١.

٣- الحياة العلمية:

ازدهرت الحركة العلمية في مصر ازدهارا كبيرا، إذ صارت البلاد محورا لنشاط علمي متعدد الجوانب والأطراف.

ولعل أهم الأسباب التي دعت لهذه النهضة العظيمة هو ما أصاب أنحاء العالم الإسلامي في العراق والأندلس والشام على أيدي المغول والصليبين، إذ لم يجد علماء المشرق والمغرب بلدا مسلما آمنا سوى مصر، فغدت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء[١].

ويصف ابن خلدون نشاط هذه الحركة في القاهرة بقولة: "ونحن لهذا العهد نرى إن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما إن عمرانها مستجر وحضارتها مستحكمة منذ الآف من السنين فاستحكمت فيه الصنائع وتفننت، ومن جملتها تعليم العلم، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب[٢]".

وقد حظي العلماء بتقدير سلاطين المماليك، يقول ابن حجر إن السلطان لاجين نزل عن سرير ليقبل يد الإمام محمد بن علي المنفلوطي[٣].

وخير ما يدل على ازدهار الحياة العلمية هو عظم الرواة العلمية التي وصلتنا، إذ شهد هذا العصر مجموعات من الكتب الضخمة في كل جوانب المعرفة، ولعل من ابرز العلوم في ذلك الوقت هو علم التاريخ إذ ظهرت طائفة كبيرة من المؤرخين الذين خلفوا تراثا عظيما في هذا المجال[٤].

---

(١) د. سعيد عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، المرجع السابق ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) ابن خلدون، **تاريخ الفكر العربي** ج ١ص ٤٣٤- ٤٣٥، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- لبنان-.

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه** ج ٤ص٢١٢، الناشر: المكتبة العلمية بيروت ط١، سنة ١٣٨٣هـ ت: علي البجاوي.

(٤) د. سعيد عبد الفتاح عاشور، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، المرجع السابق ص٣٥٥.

فمن أمثلة تلك الموسوعات:

- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، يؤرخ لمصر من سنة ٥٧٧هـ-٨٤٤هـ.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغزي بردي، يؤرخ لمصر من الفتح الإسلامي إلى عام ٨٥٧هـ

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، يؤرخ لمصر حتى المؤلف، وقد برزت في هذا العهد مجموعات كبيرة من المؤلفات النحوية، إذ نبغ فيه جماعة من النحاة الفضلاء كابن مالك (ت٦٧٢) وابن الناظم (ت٦٨٦) وابن النحاس بهاء الدين (ت٦٩٨) والمرادي (٧٤٩ت) وابن هشام (ت٧٦١) وابن عقيل (ت٧٦٩).

وقد اشتهر من تأليفهم:

- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.

- التعليق على المقرب لابن النحاس.

- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي.

- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل وغيرها.

وثمة مظهر آخر يعبر عن ازدهار هذه الحركة العلمية في هذه الحقبة، وهو العناية بإنشاء المؤسسات التعليمة من مدارس ومكاتب وجوامع، وغيرها، وقد كانت المدارس بمثابة معاهد التعليم العالي إذ لعبت دورا كبيرا في نشر العلم والمعرفة وكانت تلحق في كل مدرسة منها خزانة كتب خاصة بها[1].

ومن هذه المدارس:

- المدرسة الصلاحية التي بناها صلاح الدين رحمه الله[2].

---

(١) د. سعيد عاشور، **مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني** ص ٥٥٣، الناشر: دار النهضة القاهرة، ط١ سنة١٣٩٠ه.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج٢ص٢٦٥.

- المدرسة الكاملية التي بناها الملك الكامل[١].

- المدرسة الظاهرية التي بناها الظاهر بيبرس[٢].

- المدرسة الناصرية التي بناها العادل كتبغا والناصر محمد بن قلاوون[٣].

ومن الجوامع التي انتشرت فيها حلقات التعليم:

- جامع عمرو: وهو أول مسجد أسس بديار مصر[٤].

- جامع أحمد بن طولون[٥].

-الجامع الأزهر الذي أنشاه القائد جوهر الصقلي، وجدد بناؤه في عهد الظاهر بيبرس[٦].

بـ اسمه ونسبه:

تاج الدين أبو حفص عمر بن أبي اليمن بن أبي النجا سالم بن صدقة[٧] وقد اتفقت كتب التراجم على سلسلة النسب المذكورة آنفا إلا شئ ما أورده ابن القاضي في درة الحجال[٨] إذ

---

(١) **المصدر نفسه** ج٢ص٢٦٤.

(٢) **المصدر نفسه** ج٢ص٢٦٢.

(٣) **المصدر نفسه** ج٢ص٢٥٧-٢٥٩.

(٤) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج٢ص٢٣٩-٢٤٥.

(٥) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق، ج٢ ص٢٦٤-٢٥٠.

(٦) **المصدر نفسه** ج٢ص٢٥١-٢٥٢.

(٧) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية** ج١٤ص١٦٨، الناشر: مكتبة المعارف بيروت، ابن فرحون، برهان الدين بن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة الأعيان علماء الذهب** ج٢ص٨٠-٨٢ الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ج ٣ص٢٥٤-٢٥٥، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة ١٣٢٩هـ.

(٨) ابن العباس، أحمد بن محمد المكناس، **درة الحجال** ج٣ص ١٩٩، الناشر: دار التراث، ط١، سنة ١٣٩٢هـ، ت: محمد الأحمدي أبو النور، أبي القاضي أحمد بن محمد.

جاء في أواخر ترجمته: قال جمال الدين الأنصاري: "دخلت مع شيخنا تاج الدين أبي عبد الله محمد الفاكهاني إلى دمشق".

فكنى الفاكهاني بأبي عبد الله، ثم سماه بـ(محمد)، وهذا يبطل عندنا من وجوه:

١– أن ابن القاضي نفسه قد ذكر في صدر ترجمته اسمه كاملاً كما هو مثبت في كتب التراجم الأخرى، فلم يشر إلى اختلاف في الكنية أو الاسم أو الشهرة أو غيرها.

٢– أن ابن القاضي في لقط الفرائد[١] قد أورد اسمه صحيحا موافقا للكتب الأخرى.

٣– أن ابن القاضي وردت في كتب أخرى، و لم يغير اسم الفاكهاني في سندها، فالذي يظهر أن اسم الفاكهاني في هذه الحكاية لم يسلم من التحريف.

ولعنا قد نجد لهذه الكنية دون الاسم مخرجا، وذلك أن رجلا اسمه عمر كعمر الفاكهاني مثلا غالبا ما يكنى بأبي حفص حتى لو لم يكن عنده أولاد – أسوة بالفاروق عمر رضي الله عنه–، وبذلك يكون قد اشتهر عند المترجمين بأبي حفص، ثم يذكر عنه جمال الدين الأنصاري أنه (أبو عبد الله) فيخرج هذا – مثلا – على أن اكبر اسمه عبد الله، فيكنى به بعض الأحيان.

هذا وان كنت أرجح الرأي الأول في اسمه، لأنه أقرب إلى الصواب والله اعلم.

أما شهرته فقد عرف بابن الفاكهاني، وقد وقع خلط في شهرته، فجاء في بغية الوعاة[٢] أنه تاج الدين الفاكهي، وكذا ورد في شذرات الذهب[٣].

والصحيح أنه الفاكهاني لا الفاكهي لعدة أسباب:

– إجماع كتب التراجم على ذلك –فيما أعلم – عدا ما ذكرت. -لو كان اسمه

---

(١) ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفرائد** ص١٦٨– ١٨٨، دار المغرب للطباعة والنشر والتأليف، الرباط، ١٩٧٦م. ت: محمد حجي.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المرجع السابق ج٢ص٢٢١.

(٣) ابن عماد، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج٦ص٩٦.

(الفاكهي) لدخل في كتب المشتبه في أسماء الرجال، ليفرق بينه وبين(الفاكهي) المتأخر[1].

- أن السيوطي بنفسه في حسن المحاضرة ذكر أنه الفاكهاني[2]. أما نسبته اللخمي والاسكندري[3] والمالكي.

فاللخمي نسبة إلى قبيلة لخم بن عدي بن الحارث بن مرة ابن أدد بن زيد[4].

والاسكندري نسبة إلى مسقط رأسه الإسكندرية، وهي الإسكندرية العظمى في بلاد مصر أحدى ثلاث عشرة إسكندرية بناها الاسكندر[5].

وأما المالكي فنسبة إلى مذهبة الفقهي وصاحبه إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس[6].

ج- مولده:

اتفقت كتب التراجم على مكان مولده، إذ كانت الإسكندرية هي مسقط رأسه، ولذا نسب إليها، أما سنة ولادته فقد اختلف فيها اختلافا يسيرا، فأجمعت كتب التراجم على أنها سنة ٦٥٤هـ[7]، إلا ما ذكره صاحب الديباج من انه قد وقع فيها بعض الاختلاف، فقال: بعدما أورد السنة المتفق عليها.

وقيل: ولد سنة ٦٥٦هـ[8].

---

(١) **المصدر نفسه** ج ٨ص ٣٦٦.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج ١ص٤٥٨.

(٣) كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين** ج ٧ ص٢٩٩، الناشر: دار إحياء الثرات العربي بيروت، ط١، سنة ١٩٥٦م.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص١٢٢٧.

(٥) الحموي، ياقوت عبد الله الحموي، **معجم البلدان**، المرجع السابق ج١ص١٨٢-١٨٣.

(٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المصدر السابق ج٤ص١٣٣٨.

(٧) ابن فرحون، برهان الدين فرحون اليعمري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨٢.

(٨) **المصدر نفسه** ج ٢ص٨٢.

وهذا خلاف شاذ من مجهول لا ينقض ما لتفق عليه المؤرخون.

د- نشأته:

يكتنف نشأة الفاكهاني غموض وإبهام نظرا لفقر المعلومات التي أفادتنا بها كتب التراجم فقد أغفلت هذه النشأة إلى حد كبير فلم تلتفت لتحدثنا عن بيئته أو أسرته أو أبنائه أو رحلاته. . . الخ، لكن الذي أفصحت عنه هذه الكتب انه غادر بلاده ذاهبا إلى دمشق مرتين، الأولى قصد فيها زيادة نعل الرسول ﷺ[1]، والثانية بعد أن تصدر للإقراء في أواخر حياته إذ قدمها أيام الاخنائي الذي انزله دار السعادة[2].

كما ذكرت كتب التراجم أيضًا انه حج إلى بيت الله الحرام غير مرة[3]، لكنها لم تحدد عدد هذه الحجج أو سنواتها.

هـ- دينه وورعه:

اثني العلماء ثناء عظيما على الفاكهاني فلم ينتقصوه في جانب من جوانب شخصيته بل كان عندهم مثالا للخلق الفاضل والورع والتدين ودماثة الخلق، قال فيه ابن فرحون: "كان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم، وإتباع السلف الصالح، وحسن الأخلاق، صحب جماعة من الأولياء وتخلق بأخلاقهم وتأدب بآدابهم. . . "[4].

وقال السيوطي: "كان. . . صالحا عظيما[5]"، وقال ابن مخلوف: "الفقيه الفاضل العلم

---

(١) **المصدر نفسه** ج ٢ص٨١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **المرجع السابق** ج ١٤ص١٦٨.

(٣) ابن فرحون، برهان الدين فرحون اليعمري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١.

(٤) **المصدر نفسه** ج ٢ص٨٠-٨١.

(٥) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج ١ص ٤٥٨.

المتفنن. . . مع الدين المتين والصلاح العظيم[1]".

هذا ما ذكره المؤرخون عن مدى تدين الفاكهاني وتمسكه، إلا ابن حجر ساق قصة وقعت للفاكهاني ألمس فيها مخالفة لما قاله السابقون، فقد ذكر ابن حجر بسنده عن الفاكهاني أنه قال: "كان الشيخ أبو العباس الشاطر الدمنهوري يقول: لا يحجبني عن أصحابي التراب، فكان فطلبت من الله تعالى عند قبره ثلاث حوائج، تزوجت الفقراء من فقراء الصالحين، وحفظ كتاب الله تعالى كان على تعسر علي، والحج وكنت أعوز من النفقة ألفا درهم، فرأيت الشيخ في المنام قبل طلوع الشمس وهو يقول: "يأتيك فلان التاجر بألف درهم كف بها حالك، وما تدخل مكة حتى يفتح عليك بها قال: "فأقرضت الألف وسافرت حتى وصلت إلى المعلى و لم يفتح علي شيء، فلما طلعت الحدرة وآنا ماش، وإذا رجل يسال عني، فأشاروا إلي فناولني ألف درهم وقال: رأيت البارحة قائلا يقول: "خذ معك ألف درهم والق بها فلانا ففعلت وأخذتها واتيت إلى الذي اقترضت منه الألف فدفعتها إليه، فقال: "ما أريدها فأنني اشتريت بضاعة بثلاثين ألفا فكسدت فلا تساوي الآن النصف، قال: فلما كان أمس رأيت رجلا عليه ثياب خضر وطاقية بيضاء فقال: الألف التي بعث بها إليك أبوك مع الشيخ تاج الدين لا تأخذها منه وأنت تبيع البضاعة في أيام مني بخمسة وأربعين ألفا فكان كذلك "[2].

أقول: في هذه الحكاية استعانة بما يسمى (الأولياء)لقضاء حوائج البشر، وهذا مما لاشك فيه شرك أكبر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثلهم، هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب وفي مبتدعة أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى: "أم لهم شركاء شرعوا لهم ما الدين ما لم يأذن به الله"، فان دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم وسؤلهم

(١) محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية** ص ٢٠٤، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢٤ه، ت: عبد المجيد خيالي.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص٢٥٤-٤٥٥.

والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا ابتعث به رسولا ولا انزل به كتابا، وليس هو واجبا ولا مستحبا باتفاق المسلمين، ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين، وان كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد، ويذكرون فيه حكايات ومنامات فهذا كله من الشيطان، وكثير من الناس يذكرون في هذه الأنواع من الشرك منافع ومصالح، ويحتجون عليها بحجج من جهة الرأي أو الذوق، أو من جهة التقليد والمنامات وغير ذلك"[1].

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله-: "ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتى، والاستعانة بهم والتوبة إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فان الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عمن استغاث به أو سأله إن يشفع له إلى الله تعالى، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده"[2].

ويقول في ذلك الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- تعالى: "قبور الأولياء —وان ثبت صلاحهم — لاتزار من التبرك بزيارتهم أو دعائهم أو الاستعانة بهم، لأنهم أيضًا في حاجة إلى الدعاء مهما كانوا، فهم لا ينفعون ولا يضرون. فمن زارهم لأجل هذه الغاية فقد وقع الشرك الأكبر المخرج عن الملة، وبه يكون صاحبه كافرا مخلدا في النار والعياذ بالله"[3].

وحكي لابن القاضي أيضًا رواية ساقها على لسان أحد تلاميذ الفاكهاني قال: "جمال الدين الأنصاري: دخلت مع شيخنا تاج الدين إلى دمشق بقصد زيارة نعل سيد المرسلين الذي بدار الحديث الشرفية بدمشق، وكنت معه، فلما رأى النعل المكرمة حسر على رأسه وجعل يقبله ويمزع وجهه، ودموعه تسيل، وانشد:

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **قاعدة جلية في التوسل والوسيلة** ص ٢٠ -٢١، الناشر: دار البيان بيروت ط١، سنة ١٩٨٥م، ت: عبد القادر الأرناؤوط

(٢) ابن القيم الجوزية، أبي عبد الله محمد أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نستعين** ج١ص٣٤٦، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ، ت: محمد حامد الفقي.

(٣) ابن عثيمين، محمد بن صالح، **المجموع الثمين** ج١ص٩٠، الناشر: دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٠هـ جمع: فهد السليمان.

ولو قيل للمجنون ليلى ووصـــلها تريد أم الدنيا ومـــا في طواياهـــا
لقال غبـــار مـــن تـــراب نعالهـــا أحب إلى نفسي وأشفي لبلواها[1]

أقول: في هذا العمل مخالفات عدة:

- منها انه قد ثبت في الحديث الصحيح أن الرحال لا تشد إلا لثلاث، و لم يذكر منها زيارة نعل الرسول ﷺ.
- إن تقبيل المواد والتمرغ والبكاء وإنشاد مثل هذه الأبيات الغزلية ابتدعها المتصوفون ممن حادوا عن منهج الشريعة وسنة المصطفى ﷺ.
- انه لم يثبت بيقين بقاء شيء يخص الرسول ﷺما كان يستعمله.
- وعلى فرض بقاء نعليه فانه لا يجوز التبرك بهما أو تقبليهما، لان بركة الرســـول في ذاته ونعلاه ليسا من ذاته[2].

و- ثقافته ومكانته العلمية:

الفاكهاني من أبرز علماء القرن الثامن في مصر، إذ أحـــاط بمعـــارف عصـــره وعلومـــه واستوعبها، وقد فاضت كتب التراجم في الإشادة بمكانته العلمية، لأنه لم يقتصر نفسه على تعلم فرع وأحد من العلوم، بل امتدت ثقافته على علوم الشريعة والعربية وإن فاق الأول الثاني.

أخذ الفاكهاني عن مشاهير علماء عصره، فتلقى القراءات عن شيخه المازوني (حافي رأسه) وتفقن في علم الحديث والفقه، وكان اشتغاله بالفقه على مذهب الإمام مالك رحمه الله تعـــالى واتصل بعلوم العربية ولا سيما النحو إذ أجاد فيه وتقدم بمعرفته[3].

---

(١) ابن فرحون، برهان الدين فرحون اليعمري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج٢ص٨١.

(٢) صالح آل الشيخ، **هذه مفاهيمنا** ص ٢٠٤، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث والدعوة والإرشـــاد الريـــاض، ســـنة ١٤٠٧هـــ.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١٤ص١٦٨، ابن فرحون، برهـــان

فالفاكهاني –رحمه الله –كان من العلماء الذين يأخذون من كل علم نصيبا، فلم يقض عمره في تعلم النحو وتعليمه والحذق بمعرفة مسائلة ومشاكله، وتعلم النحو وتعليمه والحذق بمعرفة مسائله ومشاكله مع إهمال غيره مما يعتمد عليه ولا غنى لعالم عنه كعلوم القرآن والحديث وغيرهما، بل كان بروزه في علمي الحديث والفقه ظاهرا يغلب على العلوم الأخرى، ولذا جاءت مصنفاته دائرة حول هذين العلمين.

وبالمقابل فلم يغفل علوم العربية، بل نبغ فيها تعلما وتعليما، قال ابن كثير: "برع وتقدم بمعرفة النحو"[1] وقال ابن حجر: "مهر في العربية والفنون"[2].

أما تصدره للإقراء فلا تكاد المصادر تذكر شيئا عنه، لا حينه ولا صفته أو مكانه، وان كانت لم تغفل جانب هاما من جوانب تكوين شخصية الفاكهاني العلمية والتعليمة، وهو حرصه على التعليم في حله وترحاله، وليس أدل على ذلك مما حكاه تلميذه المفسر المعروف ابن كثير –رحمه الله– إذ قال: "تقدم دمشق في سنة ٧٣١هـ في أيام الاخنائي فانزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه، وحج من دمشق عامئذٍ، وسمع عليه في الطريق"[3]، فهذا نص من تلميذه على انه لا يفارق دروس العلم حتى إن كان مسافرا أو عابر سبيل.

أما عن جنس العلوم التي يقوم بتدريسها فمختلفة قوامها مؤلفاته ومؤلفات غيره من العلماء فقد حدث بمصنفاته كما ذكر ابن القاضي[4]، وكان منها شرح الإشارة التي قراها عليه النحوي الفاضل المعروف ابن هشام[5]، ونتيجة لهذه الدراسات المتنوعة نبغ تلاميذه الذين كان منهم فيما نحاة ومفسرون ومحدثون وغيرهم مما سنذكره عند التعرض لتلاميذه.

الدين العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج٢ص٨٠.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١٤ص١٦٨.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص٢٥٤.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١٤ص١٦٨.

(٤) ابن العباس، أحمد بن محمد المكناس، **درة الحجال**، المرجع السابق ج٣ص ١٩٨.

(٥) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة**، المرجع السابق ج ٢ص٦٨-٧٠.

ز- مؤلفاته:

خلف الفاكهاني تراثا علميا في مختلف فروع العلم والمعرفة، وذكر المؤرخون طائفة منها وهي:

١- الإشارة في النحو[١].

٢- التحرير والتحبير[٢]. في شرح رسالة أبي زيد القيرواني في فقه المالكية قال ابن القاضي: "وهو "شرح حسن"، وهو في مجلدين[٣].

٣- التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة[٤].

٤- تلخيص العبارة في شرح الإشارة[٥].

٥- الدرة القمرية في الآيات النظرية[٦].

٦- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام[٧]. وهو تعليق على عمدة الأحكام للمقدسي شرح فيه غريبة ومشكل إعرابه، وبين أحكامه مع التعريف برواته.

قال ابن فرحون: "لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته"[٨].

---

(١) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، المرجع السابق ج ٢ص٨١.

(٢) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المرجع السابق ص ٨٤١.

(٣) البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، المرجع السابق ج١ص٧٨٩.

(٤) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١.

(٥) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١، **السيوطي، جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة**، المرجع السابق ج ٢ص٢٢١.

(٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص ٢٥٤.

(٧) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص ٨١، أبن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص٢٥٤.

(٨) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١.

٧- "شرح العمدة" لأبي بكر الشاشي في الفروع الشافعية"(١).

٨- غاية الأمل، وهو كتاب في النحو أحال إليه المصنف في كتابه تلخيص العبارة.

٩- الغاية القصوى في الكلام على آيات التقوى(٢).

١٠- الفجر المنير في الصلاة على البشير المنير(٣).

١١- اللمعة في وقفة الجمعة(٤).

١٢- "المنهج المبين في شرح الأربعين "للنووي(٥).

١٣- المورد في المولد[٦].

وهو تعليق على عمدة الأحكام للمقدسي، شرح فيه غريبه ومشكل إعرابه وبين أحكامه مع التعريف برواته، قال ابن فرحون: "لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته "وكل هذه الكتب – حسب علمي – لم يطبع منه".

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق ج ٢ص٢٢١، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، المرجع السابق ص ١١٧٠

(٢) الزر كلي، خير الدين بن محمود الزر كلي، **الأعلام**، المرجع السابق ج ٥ص٢١٨.

(٣) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١، محمد مخلوف، **الشجرة الزكية**، المرجع السابق ص ٢٠٥.

(٤) أبن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، المرجع السابق ج ٣ص٢٥٤، كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين**، المرجع السابق ج ٧ص٢٩٩.

(٥) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨١، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص ٤٥٨.

(٦) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الدرر الكامنة**، المرجع السابق ج ٦ص ٩٧.

ح- شيوخه:

تتلمذ الفاكهاني على عدد كبير من مشاهير عصره، فأخذ عنهم القراءات والفقه والحديث والأصول والنحو والأدب والفنون وغيرها، ونظرا لتعدد هذه المعارف التي تلقاها تعددت مشايخه ما بين محدث وفقيه وقارئ ونحوي إلا إن كتب التراجم لم تحصر كل العلماء الذين أخذ عنهم بل ذكرت فئة قليلة منهم، وقد اعتمدت في حصر أساتذته على ما ذكره المترجمون في ترجمته، ثم ما ذكره الفاكهاني في شرح وسأعرض ترجمة موجزة لكل من هؤلاء الشيوخ:

١- القرافي[١] (٦٨٢هـ)

أحمد ابن إدريس بن عبد الرحمن الشيخ الإمام الفقيه الأصولي شهاب الدين الصنهاجي الأصل المشهور بالقرافي، كان مالكيا إماما في أصول الفقه وأصول الدين عالما بالتفسير وغيره ولي تدريس المدرسة الصالحية بعد وفاة الشيخ شرف الدين السبكي لازم الشيخ عز الدين الشافعي وأخذ عنه أكثر الفنون وتلقى عن الإمام شرف الدين المقدسي وسمع عليه مصنفه (وصول ثواب القران) له التنقيح وشرحه والمحصول والذخيرة في مذهب مالك.

٢- ابن المنير[٢] (٦٢٠هـ -٦٨٣هـ)

أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذامي الاسكندراني المالكي القاضي ناصر الإمام في النحو والأدب والأصول والتفسير والفقه وله اليد الطولي في علم النظر وعلم البلاغة والإنشاء كان علامة الإسكندرية وأفاضلها سمع من أبيه وابن الرواح وأخذ عن حاجب ومنه أبو حيان وغيره وخطب بالإسكندرية ودرس بالجامع الجيوشي

---

(١) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ١ص٣٦، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ج ١ ص٢١٥-٢١٧، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية –القاهرة، ط٢، وضع حواشيه وحققه محمد أمين ونبيل محمد عبد العزيز، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور.

(٢) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، **فوات الوفيات** ج١ص٢٤٣، الناشر: دار صادر بيروت، ط ١، ت: إحسان عباس، ابن فرحون برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ١ص٢٤٣.

وغيره له البحر الكبير في نخب التفسير واختصار التهذيب وغيرهما.

٣- المكين الأسمر[١] (٦١١هـ -٦٩٢هـ)

عبد الله بن منصور بن علي بن منصور أبو محمد بن أبي علي بن أبي الحسن ابن أبي منصور اللخمي الاسكندري الشاذلي، أستاذ محقق كان مقرئ الديار المصرية ثقة صالح زاهد قرأ القراءات على أبي القاسم الصفراوي وابن وثيق وقرا عليه محمد بن محمد ابن السراج الكاتب وابن الشواء

٤- ابن جماعة[٢] (٦٣٩هـ-٧٣٣هـ)

بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر ابن عبد الله الكناني الشافعي الحموي سمع من شيخ الشيوخ الأنصاري ومن والده ومن ابن علاق وسمع بمصر من الرضي ابن البرهان والعطار وولي قضاء بيت المقدس مدة والخطابة فيه وحدث بالكثير وكان يشارك في معرفة طلب الحديث وفي الفقه والتفسير مشاركة جيدة وقد وقف الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله على فتوى له فاستحسن ما كتبه صنف كتاب مناسك الحج وعلوم الحديث والتعريف والإعلام وغيرها.

٥- ابن النحاس[٣] (٦٢٧هـ-٦٩٨هـ)

محمد بن أبراهيم بن محمد بن أبي النصر شيخ الديار المصريه أخذ الغربية عن أبي عمروان والقراءات عن الكمال الضرير، وسمع الحديث من ابن التي وأبي القاسم بن رواحة وغيرهما، ودخل مصر وأخذ عن بقايا شيوخهما ثم جلس للإفادة وتخرج عليه جماعة من الأئمة وفضلاء

---

(١) الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد، **غاية النهاية في طبقات القراء** ج١ص٤٦٠، الناشر: دار الكتب العلمية ط١، سنة ١٤٢٧هـ، ت: ج برجستر اسر.

(٢) ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٤ص١٦٣، السبكي، عبد الوهاب بن علي عبد الكافي، **طبقات الشافعية الكبرى**، المرجع السابق ج ٥ص٣٢٠-٢٣١.

(٣) عبد الباقي يماني، **إشارة التعيين في تراجم النحاة اللغويين** ص ٢٨٦-٢٨٧، سنة ١٤٠٦هـ، ط١، ت عبد المجيد دياب.

الأدب له شرح المقرب وشرح على قصيدة الأفعال لمحاسن الشواء الحلبي وغيرهما.

٦- حافي رأسه[١] (٦٠٦هـ-٦٩١ هـ-٦٩٣هـ)

محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر الزناتي الكملاني النحوي نزل الإسكندرية كان إماما في النحو وعليه تخرج أهلها أخذ العربية عن عبد المنعم بن صالح التيمي وعبد الرحمن بن الزيات تلميذ ابن قنداس صاحب الجزولي وعن ابن مخلوف السكندري وسمع من ابن رواج وأبي القاسم وأجازه ابن عصفور من تونس وهو بالإسكندرية من تلاميذه البدر الفارقي قرأ عليه الفاكهاني علم القراءات و لم يصنف في النحو شيئا.

٧- ابن دقيق العيد[٢] (٦٢٥هـ-٧٠٢هـ)

تقي الدين أبو الفتح محمد بن الشيخ مجد الدين علي بن وهب مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي بارع في الحديث والفقه متبحر في الأصول والنحو شاعر خطيب وصل إلى درجة الاجتهاد وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه وولي قضاء الديار المصرية آنذاك وأخذ عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام له من الإلمام في الحديث وشرح العمدة والاقتراح في مصطلح الحديث.

ح- تلاميذه:

أ- ابن كثير[٣] (٧٠١هـ- ٧٧٤هـ) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ضوء بن درع الحافظ عماد الدين أبو الفداء تفقه على الفزاري وابن شهبه، ولازم الحافظ المزي وأخذ عن ابن تيمية، قرأ على الأصفهاني، وكان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني

---

(١) عبد الباقي يماني، **إشارة التعيين في تراجم النحاة اللغويين**، المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٢) **الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات**، المرجع السابق ج٢ص٤٨٤، ابن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية** المرجع السابق ج ١٤ص٢٧. ، السبكي، عبد الوهاب بن علي عبد الكافي، **طبقات الشافعية الكبرى** المرجع السابق ج٦ص٢-٢٢.

(٣) ابن حجر، العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر** ج١ص٧٧٤، سنة ١٣٨٩هـ، ت: حسن حبشي.

والألفاظ مشارك في العربية مشتركة جيدة، وكان ينظم الشعر صنف البداية والنهاية وطبقات الشافعية وتفسير القران العظيم.

ب- أبو هشام[1]. أبو محمد بن عبدا لله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي، لزم الشهاب لبن المرحل، وسمع على أبي حيان، حضر دروس التاج التبريزي، قرأ على الفاكهاني كتابه شرح الإشارة إلا الورقة الأخيرة منه، أتقن العربية ففاق الأقران والشيوخ، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم، صنف في النحو شيئا كثيرا منه شرحه على الألفية وكتاب مغني اللبيب في الحروف.

ج أبو محمد القروي[2] (٧٠٢هـ-٧٨٨هـ) أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرحمن بن يحي بن أسد الاسكندري مقرئ مسند ثقة قرأ على محمد بن محمد بن أحمد القوصي ومحمد بن عبد النصير ابن الشواء، وسمع من أبي القاسم عبد الرحمن بن يحي بن عثمان الاسكندري كتاب المكتفى في الوقف والابتداء للداني وسمع عليه الجزري.

د- محمد الأنصاري[3] (كان حياً سنة ٧٧٩هـ) أبو عبد الله بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري من مصنفاته المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي.

ي- شعره:

لم يكن للفاكهاني شاعرا مبدعا متفرعا لنظمه وتنقيحه لانشغاله عنه يتلقى العلم ومن ثم تدريسه، وقد ذكرت بعض الكتب التراجم إن له نظما حسنا كان منه قوله:

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، المرجع السابق ج ٢ص٤١٥، السيوطي، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق ج٢ص٦٨-٧٠.

(٢) ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد، **غاية النهاية في طبقات القراء**، المرجع السابق ج ١ص٤٨٢.

(٣) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المرجع السابق ص ١٧١٠، الزر كلي، خير الدين محمود، **الأعلام** المرجع السابق ج ٧ص١٧٨.

ضمت مكارم تأتي منك طـــاهرة إلى مكارم أبقاهـــا أبـــوك لكـــا

فان تقـــدم آبـــاء الكـــرام بهـــم فقد تقدم أبنـــاء الكـــرام بكـــا[1]

ك ـ أقوال الناس فيه:

قال الحافظ بـــن كـــثير: " الشـــيخ الإمـــام ذو الفنـــون تـــاج الـــدين أبـــو حفـــص عمر بن علي بن سالم بن عبد الله اللخمي الاسكندري المعروف بابن الفاكهاني، ولـــد ســـنة ٦٥٤هـــ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك وبرع وتقدم بمعرفة النحو وغيره وله مصنفات في أشياء متفرقة "[2].

وقال القاضي بن فرحون: "كان فقيه فاضلاً متفنن بالحديث والفقه والأصـــول والعربيـــة الأدب وكان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم وإتباع السلف الصـــالح حســـن الأخلاق"[3].

وقال الحافظ بن حجر: "مهر بالعربية والفنون"[4]، وقال جلال الدين السيوطي: " كـــان فقيهًا متفننًا في العلوم صالحًا عظيمًا صحب جماعة من الأولياء وتخلق بآدابهم"[5].

وقال محمد بن محمد مخلوف: "الفقيه الفاضل، العالم المتفنن في الحديث والفقه والأصـــول والعربية مع الدين المتين والصلاح العظيم"[6].

---

(١) ابن فرحون، برهان الدين فرحون العمري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص ٨١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٨ص٣٧٠.

(٣) ابن فرحون، برهان الدين فرحون اليعمري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ص ١٨٦.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، المرجع السابق ج ٣ص١٧٨.

(٥) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة**، المرجع السابق ج١ص ٤٥٨.

(٦) محمد مخلوف، **الشجرة الزكية**، المرجع السابق ج ١ص٢٩٣.

ل- وفاته:

اختلف كتب التراجم في تحديده سنة وفاته كما اختلف في مكانه فذكر ابن حجر[١] وابن عماد[٢] وحاجي خليفه[٣] وكحاله[٤] أن وفاته كانت سنة ٧٣١هـ وفي وفيات الو نشر يسي البداية[٥] والديباج[٦] وطبقات الأولياء أن وفاته كانت سنة ٧٣٤ هـ.

وتذبذب بعض المترجمين بين سنتين، فالسيوطي – مثلا- في البغية[٧] يذكر إن سنة وفاته كانت ٧٣١هـ ثم في حسن المحاضرة يذكرانه توفي سنة ٧٣٤هـ.

وابن القاضي في درة الحجال يقول بان سنة وفاته هي سنة ٧٣٤هـ ثم يختلف في كتابه لقط الفرائد فيجعله مع وفيات سنة ٧٣١هـ تارة، ومع وفيات سنة ٧٣٤هـ، وذلك لعدة أمور:

إن اغلب كتب التراجم المختصة بالوفيات ذكرت أن وفاته سنة ٧٣٤هـ، وبالتالي فهي أقوى في الاعتماد عليها من الكتب التي تهتم بكل جانب من الجوانب حياة العلم فالخاص مقدم على العام.

إن ابن كثير اثبت انه من وفيات سنة ٧٣٤هـ، ومن ثم فهو ينفي إن تكون سنة وفاته هي ٧٣١ هـ، لأنه قال: "قدم دمشق في سنة ٧٣١هـ. . . ، وحج من دمشق عامئذٍ"[٨].

والحج يكون في أواخر أشهر السنة، ثم قال "ورجع إلى بلاده توفي ليلة الجمعة سابع جمادى

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، المرجع السابق ج ٣ص٢٥٥.

(٢) ابن عماد، أبو الفتوح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج٢ص٩٧.

(٣) حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المرجع السابق ص ٩٨.

(٤) كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، المرجع السابق ج ٧ص٢٩٩.

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٤ص١٦٨.

(٦)ابن فرحون، برهان الدين فرحون العميري، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨٢.

(٧)السيوطي، جلال الدين السيوطي، **بغية الوعاة**، المرجع السابق ج ٢ص٢٢.

(٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٤ص١٩٨.

الأولى[1]" وبالطبع فلن تكون الوفاة سنة ٧٣١هـ، لأن جمادى يسبق أشهر الحج وقد رآه حيا أواخر تلك السنة فمعنى هذا انه مات بعد تلك السنة، ولم يذكر أحد أنها سنة ٧٣٢هـ أو ٧٣٣هـ فتعين إن تكون سنة ٧٣٤هـ.

وابن كثير –فيما حكاه – حجة لأمور:

- أنه رآه سنة ٧٣١هـ حيا والنظر مقدم على السماع والنقل.

- أنه من تلاميذه، وشهادة التلميذ تقدم على شهادة غيره.

- إن كتابه (البداية والنهاية)مما يهتم بالوفيات ويركز عليها.

لذا نرى إن وفاة الفاكهاني كانت سنة ٧٣٤هـ.

أما اليوم والتاريخ فهو ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى[2].

وقد كانت وفاته بالإسكندرية – باتفاق من المؤرخين وقد دفن ظاهر باب البحر[3]، وصلي عليه بدمشق حين بلغهم نبأ وفاته فرحم الله الإمام الفاكهاني وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

---

(١) **المصدر نفسه** ج ١٤ص١٦٨.

(٢) **ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٤ص١٦٨.

(٣) ابن فرحون، برهان الدين فرحون، **الديباج المذهب**، المرجع السابق ج ٢ص٨٢.

الفصل الثاني:

البدعة مفهومها وأنواعها والظروف التاريخية.

المبحث الأول:

مفهومها وأنواعها.

المبحث الثاني:

الظروف التاريخية.

المبحث الأول

مفهوم وأنواعها

عند الإطلاع على كتب البدع وجدت أن هذه المصطلحات اللغوية والشرعية تختلف من عالم إلى آخر وهذا يرجع على حسب اجتهاد كل عالم وما معه من الأدلة كما نبين ذلك من خلال مفهوم البدعة وأنواعها:

أ- مفهوم البدعة:

أولاً: تعريف البدعة.

البدعة:

اسم هيئة من الابتداع كالرفعة من الارتفاع، وهي: كل شيء أحدث على غير مثال سابق سواء كان محمودا أو مذموما[1].

البِدع بكسر الباء: يستعمل في الخير والشر، ورجل بدع: أي غمر، وفلان بِدع في هذا الأمر: أي هو أول من فعله لم يسبق إليه أحد، فبدع هنا بمعنى مبتدع[2]، ورجل بِدع وامرأة بِدعة: إذا كان غاية في كل شيء علما أو شرفا أو شجاعة أو غير ذلك.

ورجل أبِدع، ونساء بِدع -كعنبِ – وإبِداع، وشيء بَدع: أي مبتدع –بفتح الدال – وجمعه إبداع وبَدع كعنق.

وقال الإمام النووي في كتابه[3]: "البدعة بكسر الباء في الشرع هي أحداث ما لم يكن في عهد رسول الله -ﷺ-" وهي منقسمة إلى: حسنة وقبيحة.

---

(١) سعدي أبو جيب، **القاموس الفقهي** ج ١ص٣٢، الناشر: دار الفكر دمشق – بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية** ج٤ص ٣١٩، دار العلم للملايين – بيروت- ط٤.

(٣) النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات** ج١ ص ٩٩٤، ت: مصطفى عبد القادر عطا.

البَديع: – البديع من أسماء الله تعالى[1]: أي خالقها ومبدعها، وهو أيضًا: الخالق المخترع لا على مثال سابق، وهو من بدع لا من أبدع: فعيل بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر وهو صفة من صفات الله تعالى لأنه بدا الخلق على فير مثال تقدمه على ما أراد.

والبديع من الحبال: الذي ابتدئ فتله و لم يكن حبلا، فنكث ثم غزل وأعيد فتله.

والبديع: الزق الجديد[2] والسقاء الجديد. . . ، ومنه ركى[3] بديع: حديثه الحفر.

وبدع الشيء يبدعه بدعا: كمنع: أي أنشاه وبدأه.

أبدُع بضم الهمزة:

أبطل، وأُبدع بفلان[4]: عطيت ركابه وبقي منقطعا به وفي الحديث أن رجل أتى النبي - ﷺ - فقال: "يا رسول الله إني أُبدع بي فاحملني فقال: ما عندي. . . . "[5] أخرجه الإمام مسلم.

وبدعة تبديعًا: نسبة إلى البدعة، واستدعه: عده بديعا فمنهم من توسع في هذا التحديد فاتسع عنده مدلول البدعة.

أ- يمثل الاتجاه الأول بعض العلماء المشهورين:

١- فالإمام الشافعي –رحمه الله– يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة أو محمودة أو مذمومة

---

(١) الزبيدي، محمد عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس** ج ٢٠ص ٣١٠، الناشر: دار الهداية، ت: مجموعة من المحققين.

(٢) الزق: وهو وعاء البن والماء ولا يكون السقاء إلا بالماء، الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، المرجع السابق ج ٤ص ٣١٩.

(٣) البئر

(٤) الفيروز آبادي، محمد يعقوب، **القاموس المحيط**، ج ١ص ٩٠٧، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٧هـ.

(٥) مسلم، مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، ج٦ص ٤١، الناشر: دار السلام الرياض، ط١، سنة ١٤١٩هـ.

وهي على هذا تشمل كل حادث بعد عصر النبي – ﷺ– وعصر الخلفاء الراشدين.

عن حرملة بن يحي قال: "سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول: "البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة. . . . فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"[(١)].

وقال الربيع: قال الشافعي رحمه الله تعالى: "المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما: ما أحدث يخالف الكتاب والسنة أو إجماعا أو أثرا فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهي محدثة غير مذمومة[(٢)].

وقد استند في كلا التعبيرين إلى قول عمر ﷺ في صلاة التراويح: "نعمت البدعة هذه".

٢– وابن حزم رحمه الله تعالى يقول: "البدعة في الدين: كل ما لم يأتي من القران، ولا من الرسول ﷺ إلا إن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعتذر بما قصد إليه من الخير، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسنا، وهو ما كان أصله الإباحة، كما روي عن عمر رضي الله عنه "نعمت البدعة هذه ".

وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه، وان لم يقرر عمله في النص، ومنه ما يكون مذموما ولا يعذر صاحبه، وهو ما قامت الحجة على فساده، فتمادى القائل به[(٣)].

٣– والإمام الغزالي رحمه الله تعالى يقول في إحيائه عن الأكل على السفرة: "وما يقال انه أبدع بعد الرسول فليس كل مما أبدع منهيا عنه بل المنهي عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب[(٤)].

---

(١) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي، **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، ج١ص٢٢ص الناشر: دار الهدى القاهرة، ط١، سنة١٣٩٨هـ، ت: عثمان أحمد عنبر، ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ج١٧ص١٠، الناشر: أضواء السلف، ط١٤٢٤هـ، ت: أ. د عبد الرحيم بن محمد أحمد الشقري.

(٢) أبي شامة، **المرجع السابق** (ص ١٢)، السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الفتاوى** ج١ص٥٣٩، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، سنة ١٤٢١هـ، ت: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

(٣) ولعل مراده بما عليه الأجر وفيه العذر، ما كان على اجتهاد خاطئ، وبما بعده ما كان على اجتهاده مقبول.

(٤) الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين** ج٢ص٣، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١ سنة١٤١٨هـ.

ب- ما يمثل الاتجاه الثاني من العلماء المشهورين وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: لا تتقيد فيه البدعة بشيء سوى مخالفة السنة.

القسم الثاني: تتقيد فيها البدعة فضلاً عن ذلك بنسبتها إلى الدين وجعلها من الشرع.

يمثل القسم الأول عدد من العلماء تنوعت تعبيراتهم على مدلول وأحد هو ما ذكرناه:

١- ابن رجب الحنبلي يقول: "والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا، وان كان بدعة لغة"(١).

يقول ابن حجر العسقلاني: "والبدعة: أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع مقابل السنة فتكون مذمومة"(٢).

ويقول في موضع آخر: "والمحدثات جمع محدثة –والمراد بها – أي في كل حديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد –ما أحدث وليس له أصل في الشرع – ويسمى في عرف الشرع بدعة وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة"(٣).

٢- ويقول ابن حجر الهيثمي: "وهي –أي البدعة –لغة ما كان مخترعا.

وشرعا: ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام"(٤).

٣- وقال الزركشي: "البدعة في الشرع موضوعة للحادث المذموم".

والاتجاه العم في هذا القسم يتمثل في أن البدعة شرعاُ: كل حادث مذموم، وليس كل حادث على الإطلاق، أو كل حادث مخالف بشرط نسبته إلى الدين.

أما القسم الثاني: فيتمثل في رأي الشاطبي في اعتصامه ومن وافقه على ذلك من العلماء وأساس هذا الاتجاه هو تعريف البدعة بالمحدث المخالف للسنة الذي جعل دينا قويما وصراطًا مستقيما سواء اقتصرنا في تعريف البدعة على ما كان كذلك في العبادات فقط، أو جعلناه شاملا لما كان كذلك في العبادات والعادات معا.

---

(١) الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، ج ٢ص ٢٠٤، الناشر: دار المعرفة بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

(٢) ابن حجر، أحمد بن العسقلاني، **فتح الباري**، المرجع السابق ج٥ص١٥٦.

(٣) **المصدر نفسه** ج١٧ص٩.

(٤) الحنبلي، نجم الدين سليمان، **التعيين بشرح الأربعين** ص٢٢١، سنة ١٤١٩هـ، ت: أحمد حاج عثمان.

ثانيًا- تعريف البدعة شرعًا:

اختلفت تعريفات العلماء للبدعة، وهذا الاختلاف يرجع إلى زيادة قيود وضوابط عند بعضهم لا يذكرها الآخر.

من هذه التعريفات: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "البدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة، من الاعتقادات والعبادات"(١).

وقال رحمه الله كذلك: "البدعة في اللغة تعم كل ما فعل ابتداءً من غير مثال سابق. وأما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي"(٢).

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "المراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة"(٣).

وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة، بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة، سواء كان محمودًا أو مذمومًا(٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من عقيدة أو عمل"(٥).

الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: "ومعنى البدعة: شرع ما لم يأذن الله به، و لم يكن عليه أمر

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **مجموع الفتاوى** ج١٨ص٣٤٦، الناشر: دار الوفاء، ط٣، سنة ٢٠٠٥م، ت: أنور الباز وعامر الجزار.

(٢) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم** ج ٢ص٥٩٣، الناشر: مطبعة السنة، سنة ١٣٦٩ هـ ت: محمد حامد الفقي.

(٣) الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **جامع العلوم والحكم**، المرجع السابق ج ١ص٢٦٦.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري**، المرجع السابق ج ١٣ص٢٦٦-٢٦٧.

(٥) حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول** ج٢ص٥٠٢، الناشر: دار ابن القيم الدمام، ط١، سنة١٤١٠هـ، ت: عمر محمود أبو عمر.

النبي ﷺ ولا أصحابه"[1].

ب- أنواع البدع وحكمها في الإسلام:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قوليه اعتقاديه كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة – بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع- كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أو أعيادًا غير مشروعية كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة، كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة وكالتمديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع، كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

---

(١) صالح الفوزان، **شرح لمعة الاعتقاد** ص٢٤، سنة ١٤٢٥هـ، ت: عبد السلام بن عبد الله السلمان.

حكم البدعة في الدين بجميع أنواعها:

إن الحديث عن حكمها قد يطول بنا المقام فيمكن القول إن حكم البدعة يختلف باختلاف مفهومها:

فمن عم البدعة في كل حادث مذموما كان أو ممدوحا، فلا شك في إن البدع عنده ليست على مرتبة واحدة بل تختلف فيما بينها من ناحية القبول والرد، فمنها ما هو واجب ومنها ما هو حرام.

على أن أصحاب هذا الاتجاه يرون إن البدعة من حيث الجملة مكروهة.

قال القرافي بعد أن ذكر الأقسام البدعة: "الواجبة، المندوبة، المباحة، الحرام، والمكروهة"[1].

فالبدعة إذا عرضت تعرض على قواعد الشرع وأدلته، فأي شيء تناولها من الأدلة والقواعد ألحقت به من ليجاب أو تحريم أو غيرها، وان نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة – مع قطع النظر عما يتقاضاها – كرهت، فان الخير كله في الإتباع والشر كله في الابتداع.

(١) النيسابوري، أسعد بن محمد بن الحسين، **الفروق** ج٤ص ١٩١، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط١، سنة١٤٠٢هـ، ت: د. محمد طموم.

المبحث الثاني

الظروف التاريخية المحيطة بالمولد

أ- الظروف التاريخية المحيطة بالمولد

رغم ما كتب عن الفاطميين، سواء بالعربية أو اللغات الأوربية، فان عدد ا قليلا من هـذه الدراسات يمكن الرجوع إليه والاعتماد عليه بثقة واطمئنان، فقـد اعتمـدت أغلـب هـذه الدراسات على المصادر المتأخرة واكتفت باستعادة معلومات ذات الطابع العـم دون مناقشـة للأصول أو تفسير واع لسير الأحداث، ومع ذلك فان الخطوط العريضة والحقائق المتعلقة بتاريخ الفاطميين تكاد تكون معروفة وأصبحت مهمة الباحث في التاريخ الفاطمي مهمة صعبة، فعليه أن يجمع كل المصادر المبكرة أو التي ترجع حقيقتة إلى العصر الفاطمي ويعرض من خلالها تاريخا صحيحا للدولة يقوم على أساس تفسير هذه الأحداث وتحليل الظـواهر الرئيسـية للتـاريخ الفاطمي، لو رجعنا قليلا وتعرفنا على تاريخ الدولة الفاطمية نجد إن مؤسس الدولة الفاطمية هو عبيد الله المهدي[1]، المتوفي سنة ٣٢٢هـ وهو عراقي الأصل ومتزوج بامرأة يهوديـة، حيـث نجحت دعوته في القضاء على دولة الأغالبة، معتمدا في ذلك إلى كثرة جمـوع قبيلتـه كتامـة البربرية، ثم جمع مدينة المهدية بتونس وجعل منها عاصمة له، إلا أن الفاطميين وحلفاءهم بعد ذلك زحفوا إلى المشرق وأسسوا القاهرة مع رابع خلفاء الفاطميين المعز لدين الله الفاطمي، و لم يتبق منهم في المغرب إلا القليل.

استولى الفاطميون على شرق الجزائر، ثم تونس، ثم ليبيا ثم صقلية التي بقيت في حكمهم حتى (١٠٦١م - سنة٩٦٩هـ).

---

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **العرف الوردي في أخبار المهدي** ج١ ص ٢٢، سنة ١٤٧٢هـ، ت: أبي يعلـي البيضاوي.

ثم دخل الفاطميون في صراع مع العباسيين للسيطرة على الشام. كما تنازعوا السيطرة على شمال إفريقية مع أمويي الأندلس، كما تمكنوا من إخضاع الحجاز والحرمين مابين سنوات (٩٦٥هـ-١٠٧٠م). ازدهرت التجارة ونما اقتصاد البلاد ونشطت حركة العمران أثناء عهد العزيز بالله الفاطمي (٩٦٥هـ-٩٩٦م) ثم الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٦هـ-١٠٢١م)[١].

ومع الزمن تم لهم تحقيق الكثير من الأهداف الخبيثة ويرجع ذلك إلى ما يأتي:

١- أنهم أدخلوا أنفسهم في النسب الشريف العلوي الفاطمي كذبا وزورا.

٢- زحفهم إلى المشرق وأسسوا القاهرة مع رابع خلفاء الفاطميين المعز لدين الله الفاطمي و لم يتبق منهم في المغرب إلا القليل.

٣- أحداث بعض الدعوات الهدامة الخبيثة من باب روح الإسلام لتحقيق أغراضهم السياسية.

وبذلك بقيت هذه الدعوات تستشري ويشتد عودها حتى أصابت الإسلام في مقتل.

وهذه الطائفة لها مسميات منها:

يقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق[٢]، ويقال لهم القرامطة قيل نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار[٣]، وقيل: إن رئيسهم كان في أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة، ثم اتخذ نقبا أثنى عشر وأسس لأتباعه دعوة إلى إمام من أهل البيت، ويقال لهم الباطنية، لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض، والخرمية والبابكية نسبة إلى بابك الخرمى، الذي ظهر في أيام المعتصم وقتل، وكذلك يقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعارًا، مضاهاة لبنى العباس ومخالفة لهم، لأن بنى العباس يلبسون السواد، ويقال لهم التعليمية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتميزة السائرة

---

(١) أيمن فؤاد سيد، **الدولة الفاطمية تفسير جديد** ص١٤، الناشر: دار المصر اللبنانية، ط١، سنة١٤١٣هـ.

(٢) الوادعي، مقبل بن هادي، **الإلحاد الخميني في ارض الحرمين** ج١ص ١٢٦، سنة ١٤٢٨هـ، أعدها: رأفت الحامد العدني.

(٣) مصطفى محمد مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق** ج ٢ص ٢٣، سنة ١٤٢٤هـ.

مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون[1].

لذلك تعتبر الحركة الإسماعيلية من الحركات التي ألمت بالإسلام، لما تم على يد أتباعها من تشويه لحقيقة الإسلام وإعطاء صورة بشعة عنه أمام العالم، مما سهل الدعاية اليهودية في العالم للنيل من الإسلام العظيم[2].

وقد كانت مصر في ذلك الوقت[3]قد تأثرت بالمذاهب الإسلامية التي ظهرت في العصر العباسي وهي مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت١٥٠هـ) ومذهب الإمام مالك بن انس (ت١٧٩هـ) ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي (ت٢٠٤هـ) ومذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) على الرغم أن مذهب الإمام أبي حنيفة أقدم المذاهب السنية إلا إن مذهب الإمام مالك هو الذي دخل مصر أولاً وانتشر بها قال المقريزي: "اشتهر مذهب الإمام مالك بمصر أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب الإمام مالك بمصر"[4].

ولم يزل المصريون يتبعون مذهب الإمام مالك إلى أن قدم الإمام الشافعي إلى مصر سنة ١٩٨هـ وأظهر مذهبه الجديد وجعله يلاءم الحياة المصرية فمال إليه عدد كبير وصار لكل من مذهب الإمام مالك والإمام الشافعي أتباع في مصر كان أهل السنة يكونون السواد الأعظم من المصريين المسلمين في مستهل القرن الرابع الهجري حيث شرع الفاطميون يوجهون حملاتهم إلى مصر.

استطاع دعاتهم نشر المذهب الفاطمي بين عدد قليل من المصريين كانوا خير عون لهم على فتح مصر فدخل جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي الإسكندرية سنة ٣٥٨هـ دون

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١ص٦١-٣٣.

(٢) مصطفى محمد مصطفى، **أصول وتاريخ الفرق**، المرجع السابق ج ٢ص ١٩.

(٣) محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية** ص٧٥، الناشر: دار الفكر العربي.

(٤) المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص٣٣٤.

مقاومة وكتب أمانًا أعلنه للمصريين[١].

لم يعمل الفاطميون بكتاب الأمان الذي التزم به جوهر الصقلي أطلاقة الحرية للمصريين في المعتقدات الدينية بل تركز الاهتمام في تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي واتبعت الخلافة الفاطمية عدة وسائل في ذلك منها:

١- إسناد المناصب العليا وخاصة القضاء إلى الشيعيين.

٢- اتخاذ المساجد الكبيرة للدعاية الفاطمية كمسجد عمرو بن العاص والجامع الأزهر.

٣- تعيين أحد كبار المتفقهين في المذهب الشيعي للقيام بنشر دعوتهم وكان يعرف بداعي الدعاة[٢] بالإضافة إلى إظهار شعائرهم المخالفة لشعائر السنيين كالآذان "بحي على خير العمل" والاحتفال باليوم العاشر من محرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بكربلاء وعيد الغدير المعروف بعيد خم وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة[٣].

فكانت في تلك الحقبة لم ينشأ فقط التوتر بل أدى إلي انحياز الفاطميين إلى المغاربة والاعتماد عليهم في إدارة شؤون دولتهم إلى إلحاق الأذى بالمصريين فقاموا بنهب أملاكهم واغتصبوا الدور مما حمل المصريين إلى شاكيتهم إلى المعز فأمر بإخلاء الدور والانتقال إلى نواحي أخرى وجعل لهم واليًا وقاضيًا بالنظر إلى أحوالهم، ولما آلت الخلافة إلى العزيز سنة ٣٦٥هـ عنى كأبيه بنشر المذهب الشيعي وقلد المصرين المناصب الصغيرة شريطة أن يسيروا طبقا لأحكام المذهب الإسماعيلي مما دفع الكثير من المصريين السنيين إلى اعتناق المذهب الشيعي[٤].

ولما قبض الحاكم بأمر الله على زمام الأمور سنة ٣٩٠هـ قام بالتشديد على الالتزام

---

(١) محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، المرجع السابق ص٧٥.

(٢) القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في كتابة الانشا** ج ٣ص ٤٨٣، سنة ١٤٠٧هـ، علق عليه وشرحه: محمد حسين شمس الدين

(٣) خم: موضع على ثلاثة أميال من الجحفة بين مكة والمدينة به غدير تحيط به أشجار كبيرة.

(٤) المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص٢٨٦.

بالمذهب الشيعي وأمر بنقش السب في الصحابة على جدران المساجد والأسواق والشوارع والدروب[1] وفي عام ٣٩٧هـ قام بالتخفيف من مظاهر التعصب إرضاء لرعاياه السنيين فأبطل بعض ما أمر به سابقا من لعن الصحابة ومحو ما نقش على جدران المساجد من سب الصحابة وأجاز لهم أن يقولوا في آذان الفجر "الصلاة خير من النوم" وسمح بإقامة صلاة الضحى وصلاة التراويح وانشأ مدرسة لتعليم المذهب السني، وأصدر مرسوما سنة ٣٩٨هـ بالحرية في أداء الشعائر السنية والشيعية[2].

واستمر الوضع على ذلك لمدة ثلاث سنوات وفي عام ٤٠١هـ حتى تبدلت الأمور أمر بإقامة الآذان بحي على خير العمل وأبطل صلاة الضحى وصلاة التراويح وعلى الرغم من الخلافة الفاطمية حرصت على نشر مذهبها الشيعي بين أهالي البلاد إلا فإنها لم تنجح في أداء رسالتها الشيعية في مصر فظل المذهب السني محتفظا بقوته رغم تحول بعض المصريين إلى المذهب الشيعي خوفا من تطبيق القوانين الجائرة التي فرضها الفاطميون على مخالفيهم في المذهب، ويرجع السبب في ذلك إلى إن الفاطميين رأوا حين دخولهم مصرا أن يتركوا الفسطاط للمصريين السنيين وأجازوا لأهل السنة في مصر إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم فصارت تعاليم مذاهب الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد تدرس في دولتهم[3].

أما مذهب الإمام أبي حنيفة فلم يلقى تأيد من الفاطميين لأنه مذهب العباسيين هذه من جملة الأسباب التي جعلت المصريين يحتفظون بدينهم، فرأى خلفاء العصر الفاطمي الأول إنهم بحاجة من يعاونهم في تثبيت سلطانهم فقربوا إليهم أهل الذمة واظهروا لهم التسامح واستخدموهم في أهم شؤون الدولة[4].

فاستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء اليهود وبني كثير من الكنائس واحتفل

---

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**ج ٢ص ١٦٦، الناشر: دار الثقافة لبنان ت: إحسان عباس.

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المرجع السابق ج٢ص١٦٦.

(٣) القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في كتابة الانشا**، المرجع السابق ج٣ص٥٢٠.

(٤) محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، المرجع السابق ص٨٠.

بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم في شعورهم واسند إلى يعقوب بن كلس بعض الدواوين حتى أصبح وزير للعزيز حيث اتسم عهد العزيز بسياسة التسامح مع المسيحيين لِما كان بينه وبينهم من صلة النسب[1] ورفع العزيز عيسى بن نسطورس إلى كرسي الوزارة كما عيَّن منشأ اليهود، واليًا على الشام، فأظهر ابن نسطورس ومنشأ محاباة جليَّة لبني ملتهم، فعينوهم في مناصب الدولة بعد أن أقصوا المسلمين عنها، فقدم المسلمون الاحتجاجات على تلك المحاباة التي أظهرها الخليفة لغير المسلمين وبلغ من حال هؤلاء الساخطين أن كتبت امرأة إلى العزيز: بالذي أعز اليهود بمنشأ والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك ألا كشفت ظلامتي[2] أنحاء الدولة.

لكن الأمير ست الملك ابنة الخليفة شفعت لابن نسطو ردس فردّ العزيز الوزارة إليه ثانية وشرط عليه استخدام المسلمين في الحكومة، ولقد تقلد أهل الكتاب أرقى المناصب وأعلاها في عهد العزيز (٣٦٥هـ-٣٧٦هـ)، وشغلوا في عهد المستنصر (٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ)، ومن جاء بعده من الخلفاء معظم المناصب المالية في الدولة بل تقلَّدُوا الوزارة أيضًا.

استمر عهد الفاطميين على ما هو حتى أن حتى أن العاضد – آخر الخلفاء العبيديين – كان شديد التشيع، متغاليًا في سبّ الصحابة - ﷺ- وإذا رأى سنيًا استحل دمه[3].

وأشد من ذلك كله أن الحاكم العبيدي قد ادَّعى الإلوهية، فأمر الناس أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه، إعظامًا لذكره، واحترامًا لاسمه، وقد فُعِل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدًا له حتى أنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره، ويسجدون للحاكم، حتى أن قومًا من الجهال إذا رأوه يقولون له: يا وأحدنا يا وأحدنا، يا محيبي يا مميت، وأمر السودان

(١) فقد تزوج بنصرانية واستعمل أخويها على بعض الكنائس، أيمن فؤاد سيد، **الدولة الفاطمية**، المرجع السابق ص٢٠٢.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٣٥٨.

(٣) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المرجع السابق ج٣ص١١٠.

أن يحرقوا مصر وينهبوا ما فيها من الأموال، والمتاع، والحريم، فامتثلوا لأمره، وسبوا النساء، وفعلوا فيهن الفاحشة، والمنكرات، وأحرقوا ثلث مصر، ونهبوا نصفها[1]. فما تقدَّم يعطي فكرة موجزة عن حالة المجتمع في عهد العبيديين، الذي هم أول من وضع الاحتفال بالموالد.

فخلاصة الكلام: أن العبيد يين لما دخلوا مصر أرادو بذلك تحقيق أهدافهم السياسة ونشر مذهبهم الإسماعيلي الباطني متخذين التشيع ستارًا يحجب أنظار الناس عن حقيقة دعوتهم استعملوا في سبيل ذلك شتى الوسائل: فأغروا العامة ورعاع الناس بالهدايا والولائم والاحتفالات كأداة من أدوات نشر مذهبهم، وبالمقابل استعملوا القتل والسجن والأذى لمن عارضهم من أهل السنة المدركين لحقيقة دعوتهم. فعامة الناس كانوا متطلعين إلى هذه الاحتفالات لحاجتهم لما يُنْفق فيها من الأموال ولرغبتهم في ترويح أنفسهم والاستجابة لهواها والخوف من السلطان ومن يعلم بهذه الاحتفالات وغيرها من المحدثات لا يستطيع الإنكار لما ينتظره من القمع والتعذيب.

بالإضافة إلى أنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم بأنهم أدعياء على النسب الشريف فظنُّوا -وتحقق ظنهم - أن إقامة الموالد للنبي -ﷺ- وآله تثبت للناس صحة نسبهم وانتسابهم إلى آل البيت فأقاموا هذه الموالد وأنفقوا عليها الأموال الطائلة ومنها المولد النبوي[2].

ب- تطور ونشأة المولد النبوي:

يقصد بالمولد تلك الاحتفالات التي تقام في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام وهو اليوم الذي ولد فيه المصطفى -ﷺ- على أرجح الأقوال.

ولذا كان الاحتفال المذكور أحياء لذكراه ﷺ وإظهارا للفرح بمولد نبي الثقلين كما يقول المحتفلون.

---

(١) **المصدر نفسه**ج١٢ص١٠-١١.

(٢) التو يجري، عبد الله عبد العزيز، **البدع الحولية** ج ١ص١٣٦، الناشر: دار الفضيلة الرياض، سنة ١٤٠٦ه.

وفي ذلك اليوم يقرأ المحتفلون أورادا كثيرة ويتذاكرون سيرة رسول الله -ﷺ- كما أنهم يقومون بجانب ذلك بأعمال كثيرة مثل الذبح وإعداد الطعام للمجتمعين وللتوزيع على الفقراء حتى أصبح ذلك اليوم يوم أكل وشرب مثل يومي العيد(الفطر والأضحى) أو أكثر.

قال الشيخ علي محفوظ[1]: "الموالد هي الاجتماعات التي تقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي ولد فيه من يقصد بعمل المولد وقد يتوسع فيها حتى تتكرر في العام الواحد.

ولأجل هذا الخلاف كان الملك المظفر صاحب إربل يحتفل بالمولد الشريف مرة في ثامن شهر ربيع الأول ومرة في الثاني عشر منه ولكن المشهور هو أنه ولد في يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول وهو الراجح".

يقول ابن كثير بعد نقله هذا القول: "وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم"[2].

وقال ابن هشام: ". . . وأما ما ذكر من أنه ولد في رمضان أو في يوم الجمعة وفي غيرهما فغير صحيح كما ذكر الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-"[3].

وأما نشأة الاحتفال بالمولد الشريف فمختلف فيه أيضًا بين العلماء، فمنهم من يقول إن الاحتفال بدأ في القاهرة أيام الدولة الفاطمية، ومنهم من يقول إن ذلك قد أحدثه الملك مظفر صاحب إربل بإبل في آخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع، وهذا أمر سنفصل فيه في المبحث القادم إن شاء الله.

قال ابن الطوير (ت ٦١٧هـ): بعد أن ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة، في تواريخ

---

(١) الشيخ علي محفوظ، **الإبداع في مضار الابتداع**، ص٢٥٠، ٢٥١، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه أبو البخاري سعيد بن نصر بن محمد.

(٢) ابن كثير، محمد إسماعيل، **السيرة النبوية** ج١ص١٩٩، الناشر: دار المعرفة بيروت، سنة ١٩٧١م، ت: مصطفى عبد الواحد.

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية لابن هشام**ج١ص١٩٩-٢٠٠، الناشر: دار الجيل بيروت، سنة ١٤١١هـ، ت: طه عبد الرءوف سعد.

مختلفة، وما يطلق فيها، وهي مولد النبي، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة عليها السلام، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد الخليفة الحاضر، ويكون هذا الجلوس في المنظرة التي هي أنزل المناظر، وأقرب إلى الأرض، قبالة دار فخر الدين جهـــاركس والفندق المستجد.

"فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، (وهو يوم مولده) تقدم بـــأن يعمـــل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة، من طرائفها، وتعبئ في ثلاثمائة صينية من النحاس، فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة مـــن أول النهار إلى ظهره، فأول أرباب الرسوم، قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلـــك القراء بالحضرة، والخطباء، والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة، وقومه المشاهد، ولا يخرج ذلك ممـــا يتعلق بهذا الجانب يدعو بخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فإذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعي قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوة مضافة إليه وإلا حضر الداعي معه بنقباء الرسائل، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين، قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك.

وقد سلكت الطريق على السالكين: من الركن المخلق، ومن سويقة أمير الجيـــوش عنـــد الحوض هناك، وكنست الطريق فيما بين ذلك، ورشت بالماء رشا خفيفا، وفرش تحت المنظـــرة المذكورة بالرمل الأصفر، ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة، ووالي القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق وهو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم، فيقربون من المنظرة يترجلـــون قبـــل الوصول إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظـــار الخليفة، فتفتح أحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عـــدة مـــن الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم، ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأســـه ويده اليمنى في كمه ويشير به قائلاً أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، فيسلم بقاضي القضاة أولا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة جملة، من غير تعيين أحد فيستفتح

قراء الحضرة بالقراءة، ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين، وظهورهم إلى حائط المنظرة، فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي ؟ فيقول: وإن هذا يوم مولده، إلى ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون، فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته، ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان، فتنفض الناس، ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام، إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص"[1].

وصف ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) الاحتفال بالمولد وما فيه من رقص ولهو فقال: - "فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به لكن نذكر طرفا منه وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر منها قبة له والباقي للأمراء واعيان دولته لكل وأحد قبة فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة وقعد في كل قبة جوق من المغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي و لم يتركوا طبقة من تلك الطبات في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقا وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان فكان مظفر الدين يترل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا

(١) المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص٤٩.

عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في لقلعة ثم يترل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع أشك في ذلك من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون كل وأحد وراء الآخر فيترل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ثم يترل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي وشبابيك كرسي وشبابيك أخر للبرج أيضًا إلى الميدان وهو ميدان كبير في غاية الأتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ.

ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ويكون سماطا عاما فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف ويمد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب وأحدا من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم من قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ويخلع على كل وأحد ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل السماعات إلى بكرة هكذا يعمل في كل سنة"[1].

ووصف ابن الحاج هذه الموالد بقوله (ت ٧٣٧هـ): "ذكر رحمه الله من الأمور المنكرة التي كانت تعمل فيها، من رقص وغناء ولهو وصحبة للمردان وغناهم ورقصهم في الموالد كالنساء وما جره من مفاسد"[2].

---

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد علي، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المرجع السابق ج٤، ١١٧.

(٢) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن المالكي، **المدخل** ج٢ص١٠، الناشر: دار الفكر، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ويقول أبو العباس القلقشندي عند كلامه عن جلسات الخلفاء الفاطميين (ت٨١٢هـ): "الجلوس الثالث جلوسه في مولد النبي -ﷺ- في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف وتعبأ ثلاثمائة صينية نحاس فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق في أرباب الرسوم كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراءة الحضرة".

وقال أيضًا، في الجزء الثالث من كتابه في كلام له طويل في جلوسات الخليفة الفاطمي فقال: "بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام، أيام المواكب وجلوسه ليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه للقاضي والشهود في الليالي الوقود الأربع من كل سنة، قال: الجلوس الثالث: جلوسه في مولد النبي ؟ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر الفائق، حلوى من طرائف الأصناف، وتعبئ في ثلاثمائة صينية نحاس، فإذا كان ليلة ذلك المولد، تفرق في أرباب الرسوم: كقاضي القضاة، وداعي الدعاة، وقراء الحضرة، والخطباء، والمتصدرين بالجوامع بالقاهرة ومصر، وقومه المشاهد وغيرهم ممن له اسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة في منظرة قريبة من الأرض؛ مقابل الدار القطبية المتقدمة الذكر، وهي: بالبيمارستان، المنصوري الآن، ثم يركب القاضي بعد العصر، ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر، ومعهم أرباب تفرقة الصواني المتقدمة الذكر، فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة، وتسد الطريق تحت القصر، من جهة السيوفيين، وسويقة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك، ويرش بالماء رشا، ويرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب، ووالي القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة، ثم يستدعي القاضي ومن معه، فيحضرون ويترجلون على القرب من المنظرة، ويجتمعون تحتها وهم متشوفون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح أحدى طاقات المنظرة، فيظهر منها وجهه، ثم يخرج أحد الأستاذين المحنكين يده، ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء، ويخطب الخطباء كما تقدم في ليالي الوقود، فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا برد السلام كما تقدم، ثم تغلق الطاقتان، وينصرف الناس إلى بيوتهم، وكذلك شأنهم في مولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة"[1].

يقول المقريزي في كتابه (ت٨٤٥هـ): "كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي -ﷺ- ومولد علي بن أبي طالب ﷺ ومولد الحسن ومولد الحسين ومولد فاطمة الزهراء -ﷺ- ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد وخميس العدس، وأيام الركوبات. وذكر بعض ما يفعل في تلك الاحتفالات والأعياد خاصة الموالد الستة"[2].

ثم بعد إيضاحه غاية الإيضاح في كتابه عن تلك الأعياد والمواسم، ذكر أن الموالد الستة كانت مواسم جلية، يعمل الناس فيها ميزات من ذهب، وفضة، وخشكنانج، وحلواء.

ويذكر المقريزي وصف تلك المجالس في كتابه قال: الكلام على وصف جلوس الخليفة في الموالد بالنظرة علو باب الذهب: "قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمري، واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس، وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج، وحلوى، وكعك، وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل، ولوز، ودقيق، وشيرج، وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى، وتفرق على المتصدرين، والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم في صحون، وللفقراء على أرغفة السميذ، ثم حضر في الليل المذكورة القاضي، والداعي، والشهود، وجميع المتصدرين، وقراء الحضرة، وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة، وسلموا عليه، ثم خرج متولي بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما، برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم، وفرقت الصواني بعدما حمل منها للخاص وزمام

(١) القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى**، المرجع السابق ج ١٣ص٤٩٨.

(٢) المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص١٨٨.

القصر، ومتولي الدفتر خاصة وإلى دار الوزارة، والأجلاء الأخوة والأولاد وكاتب الدست، ومتولي حجبة الباب، والقاضي والداعي، ومفتي الدولة، ومتولي دار العلم والمقرئين الخاص، وأئمة الجوامع بالقاهرة، ومصر، وبقية الأشراف، قال: وخرج الآمر، يعني في سنة سبع عشرة وخمسمائة بإطلاق ما يخص المولد الآمري برسم المشاهد الشريفة من سكر، وعسل، وشيرج، ودقيق، وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين: الأزهر بالقاهرة، والعتيق بمصر، وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق، وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأعيان والمستخدمين من بعد القصور، والدار المأمونية صينية خشكنانج، وحضر القاضي والداعي، والمستخدمون بدار العيد، والشهود في عشية اليوم المذكور، وقطع سلوك الطريق بين القصرين، وجلس الخليفة في المنظرة، وقبلوا الأرض بين يديه، والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤون القرآن، وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها، وذكر: الخليفة، والوزير، ثم حضر من أنشد، وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه، ثم خرج متولي بيت المال ومعه صندوق من مال النجأوي خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره.

قال: "واستهل ربيع الأول، ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور، وهو ذكر مولد سيد الأولين والآخرين محمد لثلاث عشرة منه، وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوي خاصة: ستة آلاف درهم ومن الأصناف من دار الفطرة: أربعون صينية فطرة، ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة، التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله ؟ سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقته: سنا الملك ابن ميسر أربعمائة رطل حلاوة قال: "وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة: النبوي، والعلوي، والفاطمي، والإمام الحاضر وما يهتم به، وقدم العهد به، حتى نسي ذكرها، فأخذ الأستاذين يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها، ويحسنون له معارض الوزير بسببها وإعادتها، وإقامة الجواري والرسوم فيها، فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر"[1].

ووصف المؤرخ الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ): يصف لنا الاحتفالات التي كانت تقام في زمنه،

(١) **المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المرجع السابق ج١ص ٤٩٠.

حيث ذكر في كتابه عجائب الآثار فقال: "واستهل شهر ربيع الثاني فيه حضر شيخ السادات إلى بيته الذي عمره بجوار المشهد الحسيني وشرع في عمل المولد واعتنى بذلك ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ووقود القناديل من باب زويلة إلى بين القصرين وأحدثوا سيارات ومواكب وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا ومزورا واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة"(١).

كما وصف أحد الاحتفالات بقوله: "واجتمع الفرنساوية يوم المولد ولعبوا ميادينهم وضربوا طبولهم ودبادبهم وأرسل الطبلخانة الكبيرة إلى بيت الشيخ البكري واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره وهي عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة التركية وعدة آلات ومزامير مخلفة الأصوات مطربة وعملوا في الليل حراقة نفوط مختلفة وسواريخ تصعد في الهواء".

كما وصف أحد الاحتفالات بقوله: "وفيه نودي بتزيين الأسواق من العد تعظيما ليوم المولد النبوي الشريف فلما أصبح يوم الأربعاء كررت المناداة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبدل الناس جهدهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر وركب المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشني على العادة وتردد الناس ليلا للفرجة وعملوا مغاني ومزامير في عدة جهات وقراءة قرآن"(٢).

يقول الشيخ علي محفوظ (ت١٣٦١هـ): "أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد الإمام علي -رضي الله عنه- ومولد فاطمة الزهراء ومولد الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل أمير الجيوش ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعدما كاد الناس ينسوها"(٣).

---

(١) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ج٢ص٧٤، الناشر: دار الجيل بيروت.

(٢) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، المرجع السابق ج٢ص٤٨٣.

(٣) علي محفوظ، **الإبداع في مضار الإبداع**، المرجع السابق ص٢٥١.

وإن هذه الاحتفالات الفاطمية تشتمل على اجتماع كما ذكر، إلا إنها اجتماعات مشوبة بالمنكرات ففيها الاختلاط بين الرجال والنساء، وفيها المعازف بمختلف أنواعها، وأن موالده هذه تشتمل على تربية العقول على الأوهام والتخيلات الباطلة، والاعتقادات السخيفة، حينما يعتقد من يحضر احتفالاته بالمولد بحضور الحضرة النبوية، وتعين القيام لها، فاجتماع يشمل على السخرية بالعقول، والأخذ بالاعتقادات السخيفة، يضاف إلى ذلك ما يحيط به من منكرات الاختلاط، والأغاني والإسراف في المآكل والمشارب إلى غير ذلك[1].

و لم تقتصر هذه الاحتفالات على هذه الموالد الستة بل اهتم الفاطميون بالاحتفال بالأعياد الدينية في شي كثير من الابهه والعظمة فمنها عيد الفطر، وعيد الأضحى، ورأس السنة الهجرية، ورمضان، وليالي الوقود وهي التي تسبق النصف من رجب وشعبان، وكان احتفال الفاطميين بعيد رأس ألسنه الهجرية مثال الروعة والبهاء.

وقد أورد لنا المقريزي وصفا لمراسم الاحتفال بهذا العيد: " فذكر أنهم كانوا يعدون العدة للاحتفال به منذ العشر الأخير من شهر ذي الحجة في كل سنة، حيث يبدأ المستخدمون والعمال بإعداد آلات موكب الخلافة من الأسلحة وغيرها، وإذا ما أصبح اليوم التاسع والعشرين من هذا الشهر، تأهب الخليفة لعرض الخيل، فيخرج راكبا من قصره، ويترل بمكان يقال له السد حيث يجلس في مكان محجوب بالستائر، أما الوزير فيركب في هذا اليوم من داره وبصحبته الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وظل راكبا حتى باب الدهاليز بقصر الخليفة حيث يترل هناك ويسير محاطا بحاشيته وغلمانه وأولاده وأقاربه، ثم يجلس في المكان المعد له وحينئذ ترفع الستائر التي بجانبه فيرى الخليفة جالسا فيقف الوزير ويسلم عليه، ثم يتلو القراء بعض آيات مناسبة لعيد رأس ألسنه، ثم يشرع الخليفة في عرض الخيل فإذا فرغ من عرضها عاد القراء إلى تلاوة بعض الآيات الذكر الحكيم إيذانا بانتهاء الحفل.

وفى صباح أول المحرم يركب الوزير مرتديا الثياب الفاخرة ومتقلدا سيفا من الذهب إلى قصرا لخليفة وبين يديه الأمراء ركبانا ومشاة وإمامه أولاده وإخوته، فإذا وصل القصر دخل من

---

(١) المنيع، عبد الله بن سليمان، **حوار مع المالكي** ج١ص١٠١، ط٤، سنة١٤٠٤هـ.

بابه راكبا إلى دهليز يعرف بدهليز العمد حيث يترجل على مصطبة هناك، وبعد قليل يرفع صاحب المجلس الستر فيظهر الخليفة في ثيابه البيضاء متقلدا السيف وبيده قضيب الملك مكسوا بالذهب المرصع بالدر والجوهر، وحينئذ يشرع الأمراء في الخروج وبعدهم الوزير الذي يركب دابته ويقف قبالة القصر بهيئته، ثم يخرج الخليفة ويبدى الموكب الخلافي في السير يتقدمه الأمراء وطائفته من العسكر والأساتذة المحنكون ثم الخليفة يحيط به صبيان الرقابة متقلدين سيوفهم ويزيد عددهم على إلف رجل، ويسير خلف دابة الخليفة فريق من صبيان الركاب لحفظ أعقابه، ثم يأتي الخليفة وفى ركابه قوم من أقوياء الأجناد، ويبلغ عددهم خمسمائة، خلفه الطبول والصنوج، وطوائف الجند من الرجالة والفرسان وإذا وصل الخليفة الجامع الاقمر بالقماحين وسارع الوزير إلى الوقوف بين يديه فيحيه الخليفة بإشراه خفيه، ثم يعود الموكب الخلافي إلى القصر"[1].

وأما ليالي الوقود وهى التي تسبق أول ومنتصف شهري رجب وشعبان وهي من أشهر المواسم التي اختصت بها الدولة الفاطمية ففيها تضاء جميع المساجد بعد غروب الشمس وتبدو القاهرة في حلل بديعة من الأنوار وويخرج الناس إلى الجامع الأزهر الذي تضاء حافاته بالمشاعل ويعقد في صحنه مجلس حافل من القضاء والعلماء برئاسة قاضى القضاة.

وكان شهر رمضان من أهم المواسم الدينية التي عنى الفاطميون بإحيائها، فيحتفل في أول يوم منه بركوب الخليفة من القصر الشرقي الكبير وبصحبه وزيره وحوله حرسه الخاص، فيخترق موكبه شوارع القاهرة ومصر حتى جامع عمرو بن العاص الذي يعرف إذ ذاك بالجامع العتيق فإذا وصل إلى بابه وجد الخطيب في انتظاره وبيده المصحف المنسوب خطه إلى علي بن أبي طالب فيتناوله الخليفة ويقبله عده مرات ثم يأمر بتوزيع بعض المنح المالية على خطيب المسجد ومؤذنه، وإذا ما انتهى الخليفة من أداء الصلاة بالمسجد استأنف سيره إلى دار الملك، وكان ركوب الخليفة في غره رمضان يقوم عند الفاطميين مقام الاحتفال برؤية الهلال عند أهل السنة وكان يهدى في أول شهر رمضان للأمراء وأرباب الدولة أطباق من الحلوى

(١) المقريزي، أحمد بن علي، **الخطط والآثار**، المرجع السابق ج ١ص ٤٤٦-٤٥٠.

بوسط كل منها صره من ذهب، كما كانت ترسل مثل هذه الإطباق إلى أفراد أسرهم[1].

أما الاحتفال بليله عيد الفطر وعيد الأضحى فكان يقام بالإيوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط فخم، يبلغ طوله نحو ثلاثمائة ذراع في عرض سبعه اذرع، وتنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية، فإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه، وفتحت أبواب القصر والإيوان على مصارعيها وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلفي وتناولوا مما عليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة في موكبه إلى الصلاة[2].

فتبين لنا مما تقدم إن هذه الاحتفالات من الموالد والأعياد وغيرها تشكل جانب كبير من الاهتمام لدى الفاطميين فهم ينفقون عليها التكاليف الباهظة ويكون لها طابعها الخاص بهدف كسب احترام رعاياهم وساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب.

(١) محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، المرجع السابق ص١٤٧.

(٢) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** ج ٤ص ٩٧، سنة ١٣٩٣هـ ت: فهيم محمد شلتوت.

الفصل الثالث

موقف الإمام السيوطي وانتقاده للإمام الفاكهاني

المبحث الأول:

موقف الأماميين من المولد النبوي.

المبحث الثاني:

الظروف التاريخية المحيطة بهما

المبحث الأول

موقف الإماميين من المولد النبوي

كما تقدم بنا الحديث عن الدولة الفاطمية في الفصل الثالث، نعلم أن هذه الموالد أحدثت في مطلع القرن السابع وفشت وانتشرت بين الناس لوجود فراغ روحي وبدني معا، لترك المسلمين الجهاد وانشغالهم بإطفاء نيران الفتن التي أشعلها نارها أعداء الإسلام وخصومه من اليهود والنصارى والمجوس.

وتأصلا هذه الأمر في النفوس وأصبح جزءا من عقيدة كثير من أهل الجهل و لم يجد من بعض أهل العلم كالسيوطي رحمه الله تعالى من محاولة تبريرها بالبحث عن أدلة يمكن أن يستشهد بها على جواز هذا المولد وذلك إرضاء للعامة والخاصة أيضًا من جهة، وتبريرا لرضي العلماء بها وسكوتهم عنها لخوفهم من الحاكم والعوام من جهة أخرى.

والأدلة المذكورة منها ما يدور على أثر تاريخي، وأثر ديني، وهنا أبين أنا كباحثة بعضًا من هذه الأدلة وتحليلها من جوانبها التاريخية.

إن للإمام السيوطي –رحمه الله– كتابه اسمه الحاوي للفتاوى أفرد فيها رسالة مطولة اسماها (حسن المقصد في عمل المولد)[1] الذي بين فيه مشروعية المولد النبوي وانه من البدع الحسنة التي يثاب عليها فاعلها لما فيها من تعظيم قدر النبي – ﷺ– وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف وما يكون في ذلك الاجتماع من قراءة ما تيسر من القران ورواية الأخبار الواردة عن النبي.

حيث يقول –رحمه الله تعالى – قال: "عندي إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الفتاوي**، المرجع السابق ج١ص١٨١.

وقراءة ما تيسر من القران ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من الأمور الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي -ﷺ- وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف"[1].

وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الاجواد، وكان له آثاره الحسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفر بسفح قاسيون"

حيث كان ردا على الإمام تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني[2] والذي يرى –رحمه الله- إن عمل لم يرى له أصل في الشرع حيث يقول –رحمه الله تعالى – قال: "الحمد لله الذي هدانا لإتباع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين ويسَّر لنا اقتفاءَ آثارِ السَّلَفِ الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين وطهر سرائرنا من حدث الحوادِثِ والابتداع في الدين.

أحمدهُ على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيعٍ الأول، ويسمونه: المولد: هل له أصل في الشرع؟ أو هو بدعة وحدث في الدين؟

وقصدوا الجواب عن ذلك مُبينًا، والإيضاح عنه معيَّنًا: فقلت وبالله التوفيق: "لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطَّالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكَّالون بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا، أو

(١) **المصدر نفسه**ج١ص١٨١.

(٢) الفاكهاني، أبي حفص تاج الدين الفاكهاني، **المورد في عمل المولد** المرجع السابق ص١٧-١٨.

مكروهًا، أو محرمًا! ! وهو ليس بواجب إجماعًا، ولا مندوبًا؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المُتَدَيِّنون – فيما علمت – وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت. ولا جائز أن يكون مباحًا لأن الابتداع في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين. فلم يبق إلا أن يكون مكروهًا، أو حرامًا وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أنْ يعمله رجل مِنْ عَيْن مالِهِ لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في، ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئًا من الآثام، فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام سُرُج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تَتبعُه وقلبه يُؤلمُه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف.

وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إن أنضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأ بآلات الباطل، من الدفوف، والشَّبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المُرْدة والنساء الغانيات، إما مختلطات بهم، أو مُشْرِفات، والرقص بالتثنِّي والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف. وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهنّ رافعاتٍ أصواتهن بالتَّهْنيكِ والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[1].

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحل ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب. وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنا لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ،

(١) **الفجر** آية: ١٤.

ولله دَرُّ شيخنا القُشيريِّ[1] رحمه الله تعالى حيث يقول فيما أجازَناه:

قـــد عـــرف المنكـــر واســـتنكر المعـــروف في أيامنـــا الصـــعبةْ
وصـــار أهـــل العلـــم في وَهْـــدَةٍ وصـــار أهـــل الجهـــل في رُتبَـــةْ
حـــادوا عـــن الحـــق فمـــا للـــذي ســـادوا بـــه فيمـــا مضـــى نســـبةْ
فقلـــت للأبـــرار أهـــل التقـــى والـــدين لمـــا اشـــتدت الكُرْبـــةْ
لا تنكـــروا أحـــوالكم قـــد أتـــت نـــوبتكم في زمـــن الغربـــةْ

ولقد أحسن الإمام أبو عمرو بن العلاء رحمه الله تعالى حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تُعُجِّبَ من العَجَب، لذا نجد إن الإمام تاج الدين الفاكهاني من وجه نظره لا يرى أصلا لهـذا المولد ولكن الإمام السيوطي أيد ذلك واخرج له أصلا من السنة من قول ابن حجر العسقلاني وغيره مؤيد به حجته وهو قوله –رحمه الله–: "وقد استخرج له– أي المولد –إمام الحفاظ أبـو الفضل أحمد بن حجر– العسقلاني– أصلاً من السنة، واستخرجت له أنا أصلاً ثانيًا. . . . فقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر – العسقلاني – عن عمل المولـد، فأجاب بما نصه: " أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح مـن القـرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا. قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو: ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هـو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجي موسى، فنحن نصومه شكرًا لله تعالى"[2].

فُيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسـجود والصـيام

(١) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقي الدين القشيري، المشهور بابن دقيق العيد، المتوفى سنة (٧٠٢) هـ. الزر كلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، المرجع السابق ج٦ ص٢٨٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح باب الطيب للجمعة** ج ٨ص ٤٨٢، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، سنة١٤٢٢هـ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر.

والصدقة والتلاوة وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة- ﷺ - في ذلك اليوم. وعلى هذا، فينبغي أن يُتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى - عليه السلام-في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قومٌ فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله. . . "[1]. انتهى قوله.

أول هذه الأدلة: - الدليل الأول:

عند تعرضنا لأول هذه الأدلة من حيث أول من أحدثها ورأي الإمامين فيها: - يرى الإمام السيوطي إن المولد النبوي من البدع الحسنة التي يثاب عليها وان أول من أحدثها صاحب إربل الملك المظفر حيث قال: - "عندي إن أصل عمل المولد النبوي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القران ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي -ﷺ- وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي -ﷺ- وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الاجواد، وكان له آثاره الحسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفر يسفح قاسيون"[2].

يمكننا الرد على هذا بما يأتي:

١- إن الإمام تاج الدين الفاكهاني يرى إن المولد النبوي لا أصل له في الشرع لا في كتاب ولا سنة ولا نقل عن أحد من علماء الدين وانتهى بذلك إلى الحكم بان الرجل إذا احتفل بالمولد من عين ماله لأهله وعياله لا يتجاوز في ذلك الاجتماع على أكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام، كان هذا الاحتفال بدعة مكروهة وشناعة مذمومة لأنه محدث لا أساس له في الشرع فإذا ضم الاحتفال إلى ذلك اجتماع بين الغرباء واقتضى بذل المال أو نحوه كرها أو

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الفتاوي**، المرجع السابق ج١ص١٩٦.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الفتاوي**، المرجع السابق ج١ص١٩٦.

استحياء وصاحبه شيء من الفتن كالطبول والدفوف واجتماع الرجال مع النساء أو نحو ذلك فلا خلاف في حرمته.

٢- ولم يكتفي الإمام الفاكهاني برد الاحتفال والقول بكراهيته أو حرمته وإنما لفت الأنظار إلى ناحية رآها جديرة بالتأمل والنظر وهي إن الاحتفال في شهر ربيع الأول بذكر المولد وما سيلزمه من بشر وفرح يقابله الأسى والحزن في ذلك الشهر أيضًا لأنه الشهر الذي توفي ﷺ فليس الفرح بهذا الشهر بأولى من الحزن فيه وأنه من الأمور المستحثة.

فتبين لنا مما تقدم إن الفاكهاني فيما ذكره من وجوه الاستدلال موافق لابن تيمية والشاطبي ومن نحا نحوهم، ممن يرى إن ما تركه الرسول مع قيام المقتضى له لا يجوز أحداثه، وان أحداثه من الأمور المخالفة للشرع، والموالد عنده من هذا القبيل كما ورد ذلك في رسالته[١].

٣- فعند رجوعنا إلى كتب التاريخ الإسلامي نجد وأول من أحدث هذه الأمر هم بني عبيد القداح[٢] الذين يسمون أنفسهم بالفاطميين، وينتسبون إلى ولد علي أبي طالب رضي الله عنه وليس صاحب إربل وهم في الحقيقة من المؤسسين لدعوة الباطنية، فجدهم هو ابن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز وأحد مؤسسي مذهب الباطنية، وذلك بالعراق، ثم رحل إلى المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرافضة ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر بن جعفر الصادق، فقبلوا ذلك منه، مع أن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق مات و لم يعقب ذرية[٣]، وممن تبعه: حمدان قرمط وإليه تنسب القرامطة، ثم لما تمادت بهم الأيام، ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد

---

(١) الفاكهاني، أبي حفص تاج الدين الفاكهاني، **المورد في عمل المولد**، المرجع السابق ج١٧ص، ١٨.

(٢) سمي القداح: لأنه كان كحالاً يقدح العيون إذا نزل فيها الماء، ابن خلكان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المرجع السابق ج ٣ص ١١٨، ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١١ص ٢٠٢، ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** ج ٢ص ٥٥٦، الناشر: دار صادر بيروت، ط١. مادة قدح.

(٣) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، **ليس من الإسلام**، المرجع السابق ص ١٦.

الله بن ميمون بن ديصان القداح، فغيَّر اسمه ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق فظهرت فتنته بالمغرب.

قال البغدادي: " وأولاده اليوم مستولون على أعمال مصر"[1].

وقال ابن خلِّكان: "وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب"[2].

وفي سنة ٤٠٢هـ كتب جماعة من العلماء والقضاء، والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين – العبيديين – وشهدوا أن الحاكم بمصر هو: منصور بن نزار الملقب بـ (الحاكم) – حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار– ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد– لا أسعده الله –، فإنَّهُ لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ﷺ ولا يعلمون أحدًا من أهل بتوتات على بن أبي طالب ﷺ توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبه.

وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعًا في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب، منتشرًا انتشارًا يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب قوم إلى تصديقهم فيما ادَّعوه، وأن هذا الحاكم بمصر– هو وسلفه–كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون ولمذهب المجوسية والوثنية معتقدون، قد عطَّلُوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسَبُّوا الأنبياء ولعنوا السلف وادَّعُوا الربوبية، وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة للهجرة وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير[3].

وقد صنَّف القاضي الباقلاني كتابًا في الردِّ على هؤلاء وسماه: (كشف الأسرار وهتك الأستار). بيَّن فيه فضائحهم وقبائحهم، وقال فيهم: " هم قوم يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر

---

(١) البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد، **الفرق بين الفرق** ص ٢٦٧، الناشر: دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، سنة ١٩٧٧م.

(٢) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، المرجع السابق ج٣ص١١٧، ١١٨.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٣٨٦-٣٨٧.

المحض"[1].

وقد سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- عنهم، فأجاب: " بأنهم من أفسق الناس ومن أكفرهم".

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وهؤلاء القوم يشهد عليهم علماء الأمة وأئمتها وجماهيرها أنهم كانوا منافقين زنادقة، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فالشاهد لهم بالإيمان شاهد لهم بما لا يعلمه إذ ليس معه شيء يدلّ على إيمانهم مثل ما مع منازعيه ما يدل على نفاقهم وزندقتهم.

وكذلك النسب: قد علم أن جمهور الأمة تطعن في نسبهم، ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم. وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم حتى بعض من قد يتوقف في أمرهم كابن الأثير الموصلي في تاريخه ونحوه فإنَّه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم في القدح في نسبهم[4].

وأما جمهور المصنفين من المتقدمين والمتأخرين، حتى القاضي ابن خلكان في تاريخه، فإنهم ذكروا بطلان نسبهم، وكذلك ابن الجوزي وأبو شامة، وغيرهم من أهل العلم بذلك، حتى صنَّف العلماء في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم؛ كالقاضي أبي بكر الباقلاني في كتابه المشهور (في كشف أسرارهم وهتك أستارهم)، وذكر أنهم من ذرية المجوس، وذكر من مذاهبهم ما بيَّن فيه أن مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى، بل ومن مذاهب الغالية الذين يدَّعون إلهية عليّ أو نبوته، فهم أكفر من هؤلاء وكذلك ذكر القاضي أبو يعلى في كتابه (المعتمد)

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٣٨٧.

(٢) **الإسراء** الآية ٣٦.

(٣) **الزخرف** الآية ٨٦.

(٤) التويجري، عبد الله التو يجري، **البدع الحولية**، المرجع السابق ج١ص١٣٧.

فصلاً طويلاً في شرح زندقتهم وكفرهم، وكذلك ذكر أبو حامد الغزالي- رحمه الله- في كتابه الذي سمَّاه (فضائل المستظهرية، وفضائح الباطنية) قال: "ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض"[1].

وهؤلاء – بنو عبيد القدح – ما زالت علماء الأمة المأمونون علمًا وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم، لا يذمونهم بالرفض والتشيع، فإن لهم في هذا شركاء كثيرين، بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية، الذين منهم الإسماعيلية والنصيرية، وأمثالهم من الكفار المنافقين الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والذين أخذوا بعض قول المجوس وبعض قول الفلاسفة، وقد ذكرنا مسمياتهم في المبحث السابق فمن شهد لهم بصحة نسب أو إيمان، فأقل ما في شهاداته أنه شاهد بلا علم، قاف ما ليس له به علم، وذلك حرام باتفاق الأمة.

لما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق، ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ: دليل على بطلان نسبهم الفاطمي فإن من يكون من أقارب النبي ﷺ القائمين بالخلافة في أمته، لا تكون معاداته لدينه كمعادة هؤلاء فلم يعرف في بني هاشم، ولا بني أمية: من كان خليفة وهو معاد لدين الإسلام، فضلاً عن أن يكون معاديًا كمعاداة هؤلاء، بل أولاد الملوك الذين لا دين لهم آدم الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق كيف دينه هذه المعاداة؟!. ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الإسلام باطنًا وظاهرًا معادين لهؤلاء، إلا من هو زنديق عدو لله ورسوله، أو جاهل لا يعرف ما بعث به رسوله، وهذا مما يدل على كفرهم، وكذبهم في نسبهم[2].

فأول من قال بهذا الاحتفال بالمولد النبوي هم الباطنية الذين أرادوا أن يُغيِّروا على الناس دينهم، وأن يجعلوا فيه ما ليس منه؛ لإبعادهم عمَّا هو من دينهم، فإشغال الناس بمثل هذه المحدثات طريق سهل. وكان دخول العبيد يين مصر سنة ٣٦٢هـ، في الخامس من رمضان[3]

(١) الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، **ليس من الإسلام**، المرجع السابق ص٣٧.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، المرجع السابق ج٣٥ص ١٢٠-١٣٢.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٣٠٦.

وكان ذلك بداية حكمهم لها. وقيل: يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان ٣٦٢هـ[١].

إن الاحتفال بالموالد عمومًا، ومولد النبي -ﷺ- خصوصًا، إنَّما ظهرت في عهد العبيد يين و لم يسبقهم أحد إلى ذلك.

قال المقريزي: "ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادًا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية، وتكثر نعمهم. كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي:

"موسم رأس السنة وموسم أول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب ﷺ ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة أول رجب وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات"[٢].

ثم تكلم عن كل موسم ومراسم الاحتفال فيه، فهذه شهادة ظاهرة واضحة من المقريزي وهو من المثبتين انتسابهم إلى ولد علي بن أبي طالب ﷺ ومن المدافعين عنهم.

أن العبيد يين هم سبب البلاء على المسلمين، وهم الذين فتحوا باب الاحتفالات بالمولد حتى أنهم كانوا يحتفلوا بأعياد المجوس والمسيحيين كالنوروز، والغطاس، والميلاد، وخميس العدس وهذا من الأدلة على بعدهم عن الإسلام، ومحاربتهم له، وإن لم يجهروا بذلك ويظهروه، ودليل أيضًا على أن إحياءهم للموالد الستة المذكورة-ومنها المولد النبوي-، ليس محبة للرسول ﷺ كما يزعمون، وكما يظهرون للعامة والسذَّج من الناس، وإنما قصدهم بذلك نشر خصائص مذهبهم الإسماعيلي الباطني، وعقائدهم الفاسدة بين الناس، وإبعادهم عن الدين الصحيح، والعقيدة السليمة في أحداث هذه الاحتفالات، وأمر الناس بإحيائها، وتشجيعهم على ذلك،

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ج ١ص ١٣٤ الناشر: دار النشر وزارة الأوقاف مصر، سنة ١٤١٦هـ، ت: جمال الدين الشيال.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص ١١٨.

وبذل الأموال الطائلة في سبيل ذلك[1].

فقد قال الإمام أي شامة المؤرخ المحدث صاحب كتاب الروضتين[2] في أخبار الدولتين عن الفاطميين العبيد يين: " أظهروا للناس أنهم شرفاء فاطميون فملكوا البلاد وقهروا العباد وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف أنهم (بنو عبيد)؛ وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من أهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا، وعبيد هذا كان اسمه (سعيدا) فلما دخل المغرب تسمى بـ(عبيد الله) وزعم أنه علوي فاطمي -وادعى نسبا ليس بصحيح -لم يذكره أحد من مصنفي الأنساب العلوية بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافه، ثم ترقت به الحال إلى أن ملك وتسمى ب(المهدي) وبني المهدية بالمغرب ونسبت إليه وكان زنديقا خبيثا عدوا للإسلام متظاهرا بالتشيع متسترا به حريصا على إزالة الملة الإسلامية قتل من الفقهاء والمحدثين جماعة كثيرة وكان قصده إعدامهم من الوجود لتبقى العالم كالبهائم فيتمكن من إفساد عقائدهم وضلالتهم والله متم نوره ولو كره الكافرون، ونشأت ذريته على ذلك منطوين يجهرون به إذا أمكنتهم الفرصة وإلا أسروه، والدعاة لهم منبثون في البلاد يضلون من أمكنهم إضلاله من العباد وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين (٢٩٩) إلى سنة سبع وستين وخمسمائة (٥٦٧).

أي أنهم حكموا العالم أكثر من قرنين من الزمان فقد كثر في أيامهم كثرة الرافضة واستحكم أمرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية والحشيشية نوع منهم وتمكن رعاتهم منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتمكنوا من غيرهم وأخذت الفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة إلى أن من الله على المسلمين بظهور البيت الأتابكي وتقدمه مثل (صلاح الدين) فاستردوا البلاد وأزالوا هذه الدولة عن أرقاب العباد. والظلم والعباد وكانت على يده سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية، وكان عدد خلفائهم أربعة عشر مستخلفا. . . يدعون الشرف ونسبتهم

---

(١) **المصدر نفسه** ج٢ص ١١٨.

(٢) ابن شامة، عبد الرحمن الدمشقي، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ص**٢٠٢-٢٠٠، ط١، سنة ١٤١٨هـ.

إلى مجوسي أو يهودي حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية وإنما هي (الدولة المجوسية أو اليهودية الباطنية الملحدة).

ومن قباحتهم أنهم كانوا يأمرون الخطباء بذلك (أي أنهم علويون فاطميون) على المنابر ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها وخطب عبدهم جوهر الذي أخذ لهم الديار المصرية وبنى لهم القاهرة (المعزية) بنفسه خطبة قال فيها: "اللهم صلي على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العترة الهادية المهدية معد أبي تميم الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه الطاهرين وسلفه المنتخبين الأئمة الراشدين " كذب عدو الله اللعين فلا خير فيه ولا في سلفه أجمعين ولا في ذريته الباقين والعترة النبوية الطاهرة منهم بمعزل رحمة الله عليهم وعلى أمثالهم من الصدر الأول.

والملقب بالمهدي لعنه الله كان يتخذ الجهال ويسلطهم على أهل الفضل وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم وأرسل إلى الروم وسلطهم على المسلمين وأكثر من الجور واستصفاء الأموال وقتل الرجال وكان له دعاة يضلون الناس على قدر طبقاتهم فيقولون لبعضهم: "هو المهدي ابن رسول الله -ﷺ- وحجة الله على خلقه"، ويقولون لآخرين: "هو رسول الله وحجة الله".

ويقولون لآخرين: "هو الله الخالق الرازق" لا اله إلا الله وحده لا شريك له تبارك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولما هلك قام ابنه المسمى بالقائم مقامه وزاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة وجاهر بشتم الأنبياء فكان ينادى في أسواق المهدية وغيرها "العنوا عائشة وبعلها العنوا الغار وما حوى" اللهم صلي على نبيك وأصحابه وأزواجه الطاهرين والعن هؤلاء الكفرة الفجرة الملحدين وأرحم من أزالهم وكان سبب قلعهم ومن جرى على يديه تفريق جمعهم وأصلهم سعيرا ولقهم ثبورا وأسكنهم النار جمعا واجعلهم ممن قلت فيهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فخلاصة ما سبق أن أول من احتفل بالمولد النبوي هم بنو عبيد القداح (الفاطميون)، ويدلُّ على ذلك: ما ذكره المقريزي في خططه – وسبق وذكرته – وما ذكره القلقشندي في صبح

الأعشى[1].

وقد رجع هذا وأخذ به جماعة من العلماء المتأخرين[2] وصرَّحُوا به.

وأمَّا ما ذكره أبو شامة في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث): من ثنائه على الاحتفال بالمولد النبوي، وأنه من أحسن ما ابتدع في زمانه، وأن أول من احتفل بذلك بالموصل[3]، والشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل[4]، فلا يدلُّ على أن أول من احتفل بالمولد النبوي، هو صاحب إربل فهو مردود؟

لأن أبا شامة – رحمه الله – قيَّد هذه الأولوية بقوله: "أول من فعل ذلك بالموصل". فكلامه يدلُّ على أن أول من احتفل بالمولد النبوي في الموصل هو صاحب إربل اقتداءً بالشيخ عمر بن محمد الملا، وليس فيه دلالة على أن أول من احتفل بالمولد النبوي على الإطلاق هو صاحب إربل.

لكن السيوطي–رحمه الله– أطلق ذلك في كتابه (حُسن المقصد في عمل المولد)– الذي ضمنه كتابه الحاوي– فقال: "وأولُ من أحدث فعل ذلك– الاحتفال بالمولد النبوي– صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين، أحد الملوك الأمجاد"[5].

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى، المرجع السابق ج٣ص٤٩٨-٤٩٩.

(٢) علي محفوظ، **الإبداع في مضار الابتداع**، المرجع السابق ص٢٥١، حسن السندوبي، **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي**٦٢ص الناشر: مطبعة الاستقامة –القاهرة، سنة ١٩٤٨م.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله، **معجم البلدان**، المرجع السابق ج٥ص٢٢٣-٢٢٥، هي المدينة المشهورة، ومحط الركبان، وهي باب العراق، ومفتاح خرسان وسميت بالوصل؛ لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، أو بين دجلة والفرات وتقع على نهر دجلة، وأول من عظمها من الخلفاء: مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية، وصفها العلماء بصحة الهواء، وعذوبة.

(٤) إربل: – بالكسر ثم السكون ثم ياء مكسورة –: من الربل أو الريبال، وهو نوع من أنواع النبات، وهي قلعة حصينة ومدينة كبيرة، على تل عال من التراب وهي من أعمال الموصل، وبينهما مسيرة يومين، وقد قام بعمارتها الأمير كوكبوري، فأقام بها وقامت بمقامه بها – وهو المراد بقول أبي شامة: صاحب إربل – وأكثر أهلها من الأكراد. وتقع في شمال العراق شرقي مدينة الموصل، **المصدر نفسه** ج٥ص١٢٧-١٣٩.

(٥) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الرد على الفتاوي**، المرجع السابق ج١ص١٨٩.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "الاحتفال بالمولد أول من أحدثها أبو سعيد كوكبري في القرن السادس الهجري"[1].

وقال الشيخ حمود التو يجري: "إن الاحتفال بالمولد أحدثها سلطان إربل في آخر القرن السادس من الهجرة، أو في أول القرن السابع"[2].

فإذا عرفنا ذلك، فلا شكَّ أن العبيد يين هم أول من احتفل بالمولد النبوي، حسب ما ورد في كتب التاريخ والسير؛ لأنَّ العبيد يين دخلوا مصر وأسسوا ملكهم في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري واستمرت دولتهم القرن الخامس، ونصف القرن السادس الهجري.

فقد دخل المعز معد بن إسماعيل القاهرة في سنة ٣٦٢هـ[3] في رمضان، وكان ذلك بداية حكمهم في مصر[4]، وقيل: في سنة ٣٦٣هـ[5].

وكان آخر خليفة فيهم هو العاضد توفي سنة ٥٦٧هـ[6].

وأما مظفر الدين صاحب إربل فلولادته كانت في سنة ٥٤٩هـ، وتوفي سنة ٦٣٠هـ.

فهذا دليلٌ قاطعٌ على العبيد يين سبقوا صاحب إربل - الملك المظفر - بالاحتفال بالمولد النبوي.

فصاحب إربل ليس أول من احتفل بالمولد النبوي، وإنما سبقه إلى ذلك العبيديون بحوالي

---

(١) **رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم**، مسائل عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي ج٣ص٥٩، سنة١٣٩٠هـ، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) التويجري، حمود بن عبد الله، **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي**، المرجع السابق ص٨٩.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٣٠٦.

(٤) **ابن كثير**، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٢٨٣. أما أول من حكم منهم: فهو المهدي عبيد الله، وكان ذلك سنة ٢٩٦هـ وبني المهدية وذلك في المغرب، ثم جاء بعده ابنه القائم محمد ثم ابنه المنصور إسماعيل ثم ابنه المعز معد وهو أول من دخل منهم ديار مصر وأول من ملكها منهم

(٥) عبد الله بن محمد بن حماد، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحليل لتاريخ الدولة الفاطمية** ص٨٨، سنة ١٤١٠هـ، ت: التهامي – عبد الحليم عويس.

(٦) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١١ص٢٨٠.

قرنين من الزمان وهذا لا يمنع أن يكون صاحب إربل هو أول من احتفل بالمولد النبوي في الموصل[1].

الدليل الثاني:

أما قول الإمام السيوطي مما يؤيد به رأيه ويقوي حجته على الإمام تاج الدين الفاكهاني في مشروعية المولد النبوي على مشروعية المولد وهو استناده لقول ابن حجر والحاج –رحمهما الله– في صوم يوم عاشوراء وفضل يوم الاثنين حيث قال: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت وهو: ما ثبت في الصحيحين من أن النبيﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونجي موسى، فنحن نصومه شكرًا لله تعالى"[2].

"فُيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة ﷺ في ذلك اليوم، وعلى هذا، فينبغي أن يُتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى – عليه السلام–في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قومٌ فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله"[3].

وتكلم الإمام أبو عبد الله ابن الحاج في كتابه المدخل على عمل المولد فقال: "لكن أشار عليه السلام إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين ذاك يوم

---

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، المرجع السابق ج ٤ص ١٢٠.

(٢) سبق تخريجه (ص ٨٥).

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الرد على الفتاوي**، المرجع السابق ج١ص١٩٦.

ولدت فيه فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فينبغي إن نحترمه حق الاحترام ونفضله بما فضله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة"[1].

فالجواب على هذا بما يأتي:

١-أن ابن حجر-رحمه الله- صرح في بداية جوابه أن أصل عمل المولد ليس له أصل في الشرع ولم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة.

٢-أن تخريج ابن حجر في فتواه عمل المولد على حديث صوم عاشوراء لا يمكن الجمع بينه وبين جزمه أول تلك الفتوى بأن ذلك العمل لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة فإن عدم عمل السلف الصالح بالنص على الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم يمنع اعتبار ذلك الفهم صحيحًا إذا لو كان صحيحًا لم يعزب عن فهم السلف الصالح ويفهمه من بعدهم.

كما يمنع اعتبار ذلك النص دليلاً عليه إذا لو كان دليلاً عليه لعمل به السلف الصالح فاستنباط ابن حجر الاحتفال بالمولد النبوي من حديث صوم يوم عاشوراء، مخالف لما أجمع عليه السلف من ناحية فهمه ومن ناحية العمل به وما خالف إجماعهم فهو خطأ لأنهم لا يجتمعون إلا على هدى، وقد بسط الشاطبي – رحمه الله – الكلام على تقرير هذه القاعدة في كتابه الموافقات في أصول الأحكام[2].

٣- أن تخريج يوم المولد على صيام يوم عاشوراء، إنما هو من التكلُّف المردود لأنَّ العبادات مبناها على الشرع والإتباع لا على الرأي والاستحسان[3].

٤- أن صيام يوم عاشوراء قد فعله النبي ﷺ ورغب فيه بخلاف الاحتفال بمولده واتخاذه عيدًا فإنَّ النبي ﷺ لم يفعله ولم يرغّب فيه.

---

(١) ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري الفارسي، **المدخل** ج٢ص٢-٣، الناشر: دار الفكر، سنة ١٤٠١هـ.

(٢) الشاطبي، أبي إسحاق إبراهيم موسى، **الموافقات** ج٣ص٥٩، سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٩٨م، ت: محيي الدين عبد الحميد.

(٣) التويجري، حمود عبد الله، **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي**، المرجع السابق ص٥٣.

٥- فصوم يوم عاشوراء وردت له أدلة في ذلك وأن كتب التاريخ الإسلامي ذكرت قصة موسى مع فرعون وقومه، وكيف كانت نتيجة تلك المعركة من نجاة موسى وقومه وإغراق فرعون وقومه، فالمسلمون يعبرون عن فرحهم بذلك عن طريق صومهم لهذا اليوم بما وردت الأدلة القاطعة في ذلك، ولإن الرسول ﷺ أقر بصيامه وهوا لاحتفال بنجاة موسى عليه السلام، ورأى إن فعل ذلك هو تعبير عن سروره وشكرا لله تعالى على ما منا الله بهذه النجاة فهو صامه وأمر الناس بصيامه فرحهم بذلك اليوم، بخلاف يوم المولد الذي لم يرد لنا إن الرسول صامه.

لذا نجد الإمام السيوطي حتى يؤيد حجته استند في الاستدلال إلى القياس و لم يتوصل إلى دليل من النقل يدل على اختصاص يوم المولد بعباده خاصة، أو مظهر من مظاهر شكر الله تعالى على ما أنعم الله به فيه.

٦- أما استناده لقول الحاج في تخصيص هذا اليوم باستحباب عبادة خاصة فيه إظهارا للفرح والسرور بالمولد وشكرا لله تعالى على ما أكرم به من هذا الميلاد، إلا وهو تعليل الرسول استحباب صوم يوم الاثنين بقوله "ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه ويوم بعثت أو انزل الله علي فيه"[١].

فلا يحتج به لان استناده كان قياسا و لم يكن من النقل لأنه عبر عن فرحه بهذا اليوم وهو المولد بالصوم وذكر الرسول لهذا الحديث كان لفضل يوم الاثنين بأنه تعرض الأعمال على الله لا لفضل المولد.

لكن نجد هناك من البلدان تحتفل بهذا اليوم وهو عيد موسى عليه السلام ويسمى بموسم النبي موسى ويكون ذلك في أواخر فصل الشتاء من كل عام وتستمر الاحتفالات أسبوعًا كاملاً وهو عيد شعبي تشترك فيه البلدان والقرى ويشتدد التنافس فيه بين الأهالي وأيهم يكون له مكان السبق والصدارة فيها فيتم ترتيب مواعيد لقدوم الزوار وهذا الموعد يكون على حسب عيد الفصح عند المسيحيين، وكان يأتي في الأسبوع الذي يسبق عيد الفصح في كل عام، حيث يبدأ الاحتفال يوم الجمعة من الحرم الشريف (القدس)إلى النبي موسى عليه السلام ويوم الأحد

(١) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفارسي، **المدخل**، المرجع السابق ج٢ص ٣.

يصل موكب الزوار وتمتد الزيارة من يوم الجمعة إلى يوم الخميس التالي أي سبعة أيام وفي يوم الخميس يعود الموكب إلى القدس باحتفال كبير، وفي يوم الجمعة تعاد الإعلام إلى أماكنها علم النبي موسى وعلم المسجد الأقصى وعلم النبي داود في احتفالات تقام لذلك خصيصا وتبدى الوفود بمغادرة القدس[1].

تبين لنا مما سبق إن أدلة الإمام السيوطي لا تتقوى على أدلة الإمام الفاكهاني فيما احتج به على مشروعية المولد في ذلك، لأنه كان معتمد على القياس لا النقل، وهو إمام مجتهد وله صوابه وخطاه وزلته وان هذا الأمر لا ينقص من مكانة الإمام السيوطي وهو إمام وله فضله وعلمه وبذلك تقوى حجة الإمام الفاكهاني والله تعالى أعلم.

الدليل الثالث:

وهو ما ورد عن ابن كثير – رحمه الله[2] – في كتابه (البداية والنهاية) حيث أنه أثنى على أحد الملوك وهو صاحب إربل لعمله بالمولد وقد علق عليه الإمام السيوطي ووصفه بأوصاف متعددة منها بقوله: كان شهما، شجاعا، عادلا، إلى قوله رحمه الله وأحسن مثواه حيث قال ابن كثير: "كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا، وكان شهما شجاعًا بطلاً عاقلاً عالمًا عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه"[3].

وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحيه مجلدا في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك إلى إن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

فالجواب على هذا بما يأتي:

١- إن الإمام ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ينقل التاريخ، ولا يعني انه نقله لحدث

(١) حسام الدين عفانة، **قواعد وأسس في السنة والبدعة** ج ١ص ١٣٧، ط١، القدس، سنة ١٤٢٢هـ.

(٢) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **الحاوي في الرد على الفتاوي**، المرجع السابق ج٢ص٣٠٢.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ص١٣-٤٣.

تاريخي أنه يقر ما فيه، وأما ثناؤه على صفات الملك الحميدة فلا يتناقض مع كون المولد ليس له أصلاً في الشرع.

٢-إن الملك (كوكبري)كانت لديه مآخذ أخرى أيضًا، كما قال ابن كثير في المصدر نفسه: "يعمل سماعا من الظهر إلى الفجر يرقص بنفسه معهم"[١]، مع ماله من الخير والإحسان والبر والجهاد هذا مع انه قد يمدح بعض الملوك أو السلاطين لأعمال يقومون بها هي مذمومة لو فعلها غيرهم، وبعضهم قد يفعلها بحسن قصد، فيثابون على قصدهم الحسن، وإن كان ما فعلوه يجب النهي عنه.

كما قال الشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله – قال: "فتعظيم الموالد واتخاذها مواسم قد يفعله بعض الناس ويكون له فيها أجر عظيم، لحسن قصده وتعظيمه للنبي ﷺكما قدمت لك انه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: "أنه أنفق ألف دينار ونحو ذلك فقال دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال مع إن مذهبه: "إن زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأول بعض الأصحاب انه أنفقها في تجديد الورق والخط"[٢].

٣- إن هناك طرق أخرى لإحياء مثل هذه الموالد في مجالس الخليفة.

لو القينا نظرة على كتب التاريخ لوجدنا أن هناك طرق في إحياء هذه الموالد في مجالس الخليفة.

قال المقريزي في "الخطط"[٣] يصف جلوس الخليفة في الموالد الستة: " فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، تقدم - الخليفة - بأن يعمل في دار الفطرة[٤] عشرون قناطرا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس، وهو مولد النبي ﷺ فتفرق

---

(١) **المصدر نفسه** ج ١ص ١٨٩- ١٩٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **اقتضاء الصراط المستقيم**، المرجع السابق ص٢٩٧.

(٣) المقريزي، **الخطط والآثار**، المرجع السابق ج١ص٤٣٣.

(٤) تقع خارج القصر، بناها العزيز بالله، وقرر فيها ما يعمل، مما يحمل إلى الناس في العيد، وهي قبالة باب الديلم من القصر، الذي يدخل منه إلى المشهد الحسيني.

المقريزي، الخطط والآثار، المرجع السابق ج١ص٤٢٥.

تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، من أول النهار إلى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع وقومه المشاهد، فإذا صلى الخليفة، ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر[1]ومعهم أرباب تفرقة الصواني، فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه، وقد كنست الطريق ورشت بالماء رشًا خفيفًا وفرش تحت المنظرة"[2]، وكل صينية في قوارة الرمل الأصفر، فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصل إليها بخطوات، فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة، فتفتح أحدى الطاقات[3]، فيظهر منها وجهه -الخليفة- وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الأستاذين[4] المحنكين، وغيرهم من الخواص، ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه ويشير به قائلا: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام. فيسلم بقاضي القضاة أولا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة، ويكونون قياما في الصدر، وجوههم للحاضرين، وظهورهم إلى حائط المنظرة، فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم، فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى

---

(١) هو أول مسجد أسس بالقاهرة، والذي أنشأه القائد جوهر الصقلي مولى المعز لدين الله، لما اختط القاهرة، وشرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ وكمل بناؤه سنة ٣٦١هـ.

المقريزي، الخطط ولآثار، المرجع السابق ج٢ص٢٧٣.

(٢) المنظرة: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو، والمنظرة المرقبة. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **المرجع السابق** ج٥ص٢١٧، والمراد بها هنا: هي الأماكن التي كان يشرف منها الخلفاء العبيديون على الاحتفال ببعض الأعياد. الطاقات: جمع طاق، وهو ما عطف من الأبنية، هو الذي يعقد بالآجر. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، المرجع السابق ج١٠ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) الطاقات: جمع طاق، وهو ما عطف من الأبنية، هو الذي يعقد بالآجر. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **المرجع السابق** ج١٠ص٢٣٢، ٢٣٣

(٤) هم الخدم والطواشية، ومنهم أرباب الوظائف المختصون بشئون الخليفة واحتياجاته، وأعظمهم مكانه الأستاذين المحنكون الذين يديرون عمائمهم على أحناكهم، وهم أقرب الخدام إلى الخليفة، ومنهم من يحمل رسائل الخليفة إلى الوزير، ومن يشرف على إعداد مجلسه الخ بناه الآمر سنة ٥١٩هـ بواسطة وزيره المأمون بن البطائحي، وكان مكانه دكاكين علافين، وأول جمعة أقيمت فيه سنة ٧٩٩هـ بعد أن جدده الأمير أريلبغا أحد المماليك الظاهرية، القلقشندي، أحمد بن علي، **المرجع السابق** ج٣ص٤٧٧.

ذكر النبي ﷺ فيقول: وإن هذا يوم مولده إلى ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر، ويقدم خطيب الجامع الأزهر، فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك، والقراء في خلال خطابة الخطباء، يقرؤون! ! !.

فإذا انتهت خطابة، أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته، ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس، ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص"[1].

قال ابن خلكان[2] في وصف احتفال مظفر الدين أبو سعيد كوكبري صاحب إربل بالمولد النبوي: "وأما احتفاله بمولد النبي ﷺ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به لكن نذكر طرفا منه وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ويعمل مقدار عشرين قبة أو أكثر منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل وأحد قبة فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة وقعد في كل قبة جوق[3] من المغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي و لم يتركوا طبقة من تلك الطباق في كل قبة حتى رتبوا فيها جوقا وتبطل معايش الناس في تلك المدة وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم فكان مظفر الدين يتزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف عليها قبة إلى آخرها ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ويركب عقب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر.

---

(١) المقريزي، **الخطط والآثار**، المرجع السابق ج٢ص٢٩٠.

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، المرجع السابق ج٤ ص١١٧-١١٩، وكان من ولع الملك المظفر بعمل المولد أن صنف له أبو الخطاب بن دحيه مجلدا في المولد النبوي سماه: كتاب التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه على ذلك بألف دينار

(٣) الجوق: الجماعة من الناس، وقال ابن سيده: أحسبه دخيلا مادة (جوق)، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، المرجع السابق ج١٠ص٣٧.

هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر، والسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائدا على الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان أو أربع – أشك في ذلك – من الشموع الموكبية[1]، التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها، وهي مربوطة على ظهر البغل، حتى ينتهي إلى الخانقاه فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل وأحد منهم بقجة وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر، فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده، ثم ينزل إلى الخانقاه، وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس، وينصب كرسي للوعاظ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي في غاية الاتساع ويجتمع فيه الجند، ويعرضهم ذلك النهار، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم، فعند يقدم السماط في الميدان للصعاليك، ويكون سماطا عاما فيه من الطعام والخير شيء كثير لا يحد ولا يوصف، ويمد سماطا ثانيا في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي، وفي مدة العرض، ووعظ الوعاظ يطلب وأحدا من الأعيان والرؤساء، والوافدين لأجل هذا الموسم، من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد ثم يعود إلى مكانه فإذا تكامل ذلك كله، حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها، ثم يبيت تلك الليلة هناك، ويعمل السماعات إلى بكرة هكذا يعمل في كل سنة، وقد لخصت صورة الحال، فإن الاستقصاء يطول، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعودة إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئا من النفقة"[2].

---

(١) نسبة إلى الموكب، والموكب: جماعة من الناس ركبانا ومشاة، وكذلك القوم الركوب على الإبل للزينة، وكذلك جماعة الفرسان مادة (وكب)، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، المرجع السابق ج١ص٨٠٢

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان**، المرجع السابق ج٤ص١١٧-١١٩.

وقال ابن كثير في ترجمة المظفر كوكبري: "قال السبط: حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد، كان يمد ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم، ويعمل للصوفية سماعا من الظهر إلى الفجر ويرقص بنفسه معهم وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أي جهة على أي صفة، فكان يصرف على هذه الدار في كل سنة مائة ألف دينار[1]".

وقال السندوبي في وصف الاحتفال بالمولد النبوي في القاهرة[2] سنة ١٢٥٠هـ في هذا العهد كان العالم الإنجليزي (ادوارد وليم لين) يزور القاهرة فشاهد الاحتفال بالمولد النبوي، فوصفه وصفًا شيقًا: قال "- وليم لين - في أول ربيع الأول والشهر الثالث من شهور السنة الهجرية يبدأ الاستعداد للاحتفال بمولد النبي ﷺ، وأكبر ساحات هذا الاحتفال شأنًا الجزء الجنوبي الغربي المعروف ببركة الأزبكية، وفي هذه الساحة أقيمت صيوانات[3] كثيرة للدراويش وفيها يجتمعون كل ليلة للقيام بحلقات الذكر ما دام الاحتفال بالمولد، وبين هذه الصيوانات ينصب صاري يثبت بالحبال ويعلق فيه من القناديل اثنا عشر أو أكثر، وحول هذا الصاري تقوم حلقة الذكر وهي تتكون عادة من نحو خمسين أو ستين، اليوم الثاني من الشهر ينتهون من إقامة معالم الاحتفال ومعداته ثم يشرعون في اليوم التالي في مظاهر الاحتفال ليلا ونهارا إلى الليلة الثانية عشرة من الشهر، وهي ليلة المولد الكبرى، ففي النهار يتسلى الناس في الساحة الكبرى بالاستماع إلى الشعراء، والتفرج على الحواة ونحوه.

أما الغواني فقد أكرهتهن الحكومة من عهد قريب على التوبة وترك مهنتهن من رقص ونحوه

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١٣ص١٣١.

(٢) هي المدينة الكبيرة التي أحدثها جوهر الصقلي غلام المعز - الخليفة العبيدي - وذلك فور دخوله مصر سنة ٣٥٨هـ وقد فصل ابن تغزي بردي الكلام عنها في بنائها وصفتها وحاراتها وأسواقها. وهي الآن عاصمة مصر. ويزيد سكانها عن ثمانية ملايين نسمة. تقع على نهر النيل، المقريزي، **الخطط والآثار**، المرجع السابق ج١ص٣٥٩-٣٨٠.

(٣) لم أعثر معنى لهذه الكلمة في المعاجم اللغوية المشهورة، ولعلها من الدخيل. والذي يتبادر إلى الذهن - والله أعلم - أن الصيوانات جمع صنوان: والصنوان هو الخيمة الكبيرة من الصوف أو القماش، والتي تستعمل عادة في المناسبات وتضرب عادة خارج المنازل.

فلا أثر لهن في احتفال هذه السنة، وكن في الموالد السابقة من أكثر العالمين في الاحتفال اجتذابًا للمتفرجين! ! !. . . . أما في الليل فتضاء الشوارع المحيطة بساحة المولد بقناديل كثيرة، تعلق غالبا في فوانيس من الخشب، ومن دكاكين المأكولات، ونصب الحلوى ما يبيت مفتوحا طوال الليل وكذلك القهاري التي قد يكون في بعضها، وفي غيرها من الأماكن شعراء ومحدثون، ينصت إليهم كل من أراد من المارة.

أما في الليلتين الأخيرتين فيكون المولد أكثر زحاما وأسباب التفرج والمسليات أعظم منها في الليالي السابقة[1].

ثم وصف المؤلف الإنجليزي[2] – ادوارد وليم لين – مجلسًا كاملاً من مجالس الذكر التي تعمل في الموالد وغيرها فقال: "وفي ليلة المولد الكبرى ذهبت إلى الساحة الرئيسة، فرأيت ذكرا قوامه ستين درويشا حول صاري، وكان ضوء كافيا لإنارة الساحة، وكان الدرويش حول الصاري من طوائف مختلفة وكانوا يقولون: يا الله ثم يرفعون رؤوسهم، ويصفقون جميعا بأيديهم أمام وجوههم وكان داخل حلقة الذكر خلق كثير قد جلسوا على الأرض، ولبثوا يذكرون على هذا النحو مقدار نصف ساعة، ثم انقسموا جماعات، كل جماعة من خمسة أو ستة يكونون حلقة واسعة ثم أمسك أفراد كل جماعة بعضهم ببعض كل منهم ما عدا الأول قد وضع ذراعه اليمنى على ظهر من يليه يسارا ويده على الكتف اليسرى كتف من يليه ثم اتجهوا إلى النظارة المتفرجين خارج الحلقة، وأخذوا يذكرون الله بصوت أجش عميق وهم في هذه الحالة يتقدمون إلى الأمام خطوة ثم إلى الوراء خطوة مع تحرك كل منهم قليلا إلى اليسار فكانت الحلقة كلها تدور ولكن ببطء شديد وكان كل منهم يمد يده اليمنى نحو النظارة خارج الحلقة مشيرا بالتحية وهؤلاء أو أغلبهم كانوا يردون السلام وأحيانا كان بعضهم يقبل اليد الممتدة إليه إذا قابلت وجهه متى كانوا قريبين منهم ومن الوائد المتبعة عندهم أن يسكت من في الصواوين متى كان الذكر حول الصاري"[3].

---

(١) السندوبي، **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي**، المرجع السابق ص١٧٤– ١٧٧.

(٢) **المصدر نفسه** ص١٨٨–١٨٩.

(٣) **المصدر نفسه** والصفحات نفسها. .

وقال السندوبي[1] أيضًا في كتابه (تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي) قال: "ومن الليالي الغر التي لا أنساها ما حييت ليلة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٤فبراير سنة ١٩٤٥م والتي تعد بحق مثالاً لما يجب أن يكون عليه الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في كل عام فقد شهدت في ساحة المولد معالم الزينة التي تأخذ بالألباب، ومظاهر الاحتفال التي بدت في شكل فخم، ونظام جليل هناك وفي هذا الميدان المترامي الأطراف أقيم السرادق[2] الملكي البديع، وقد تجلى في زخارفه وماس[3] في أستاره ومطارفه[4] وفرش بالطنافس[5] الثمينة، وصفت الأرائك[6] المحلاة بالذهب، وانتشرت في جنباته النمارق[7] الموصوفة، واسترسلت في ساحته الكلل[8] لحريرية، ورفعت على سواريه الأعلام الملكية وعلقت في مداخله المصابيح الباهرة الأنوار وفي سماواته الثريات الأخذة بالأبصار، كما فرشت أرض الميدان بالرمل الأصفر والأحمر ووقف على أبوابه رجال الحرس الملكي في ملابسهم المزركشة ووفد على هذه السرادق وزراء الدولة وشيخ الأزهر وطوائف العلماء ووكلاء الوزارات وكبار الموظفين وكبراء الأمة وأعيان الناس من ذوي المراتب والألقاب وجميع هؤلاء قد وقف في جلال ووقار انتظارا لتشريف حضرة الملك المعظم أو من ينتدب للإنابة عنه في حضور الاحتفال وقبيل

---

(١) السندوبي، **تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي** ص ١٩٦- ٢٠٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** ج١٠ص١٥٧، السرادق: ما أحاط بالبناء، وقيل: كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء مادة (سردق). والمراد به هنا – والله أعلم –: المخيم الكبير

(٣) ماس: الميس التبختر، وماس يميس ميسانا: يراجع واختال، **المصدر نفسه**.

(٤) المطارف: جمع مطرف، وهي أردية من خز مربعة لها أعلام، وقيل: المطرف من الثياب: ما جعل في طرفيه أعلام، ماد(طرف)، **المصدر نفسه**.

(٥) الطنافس: جمع طنفسة: وهي البساط الذي له خمل رقيق، مادة (طنفس)، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، المرجع السابق ج٦ص١٢٧.

(٦) الأرائك: جمع أريكة: وهي سرير منجد في قبة أو بيت. وقيل: كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة. مادة (أرك)، **المصدر نفسه** ج١٠ص٣٨٩، ٣٩٠.

(٧) النمارق: هي الوسائد، ومنها ما يفرش تحت الراكب على الراحلة، مادة نمرق، **المصدر نفسه** ج١٠ص٣٦١.

(٨) الكلل: جمع كلة، وهي الستر الرقيق يضرب على القبور، وقيل: هي ما خيط من الستور فصار كالبيت، وقيل: هي ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض. مادة (كلل)، **المصدر نفسه** ج١١ص٥٩٥.

الظهر بساعة بينما هذا الجمع الحاشد في الانتظار وصل الركب الملكي الفخم وقد أقبل جلالته بوجهه المشرق على هذه الجموع مشيرًا بيده الكريمة إشارة التحية والسلام واستقبله بعد ذلك كبار الشخصيات الموجودة في السرادق وعندما وصلت المركبة الملكية قبالة السرادق الملكي العظيم سمعت طلقات المدافع تدوي تحية الملك وتعالت أصوات قوات الجيش هاتفة بحياته ثم أخذت الموسيقى تصدح بأنغامها الشجية بالسلام الملكي وبعد الانتهاء من عرض الجيش تقدمت بين يدي الملك مشايخ الطرق الصوفية برجالها ومريديها حاملين لأعلامهم وشاراتهم وكل شيخ يمر بين يديه يقف هنيهة لقراءة الفاتحة وتلاوة بعض الأدعية المأثورة بطريقتهم المعروفة في القراءة والدعاء ثم يهتفون جميعا بحياة الفاروق ثلاثا ولما انتهى مرور أصحاب الطرق عاد الملك إلى السرادق الملكي، حيث قدمت صنوف الحلوى، وأنواع المرطبات، فتناول منها جميع الحاضرين وبعد فترة قصيرة بارح جلالته السرادق الملكي وما إن أشرف عليه حتى نهض شيخ مشايخ الطرق الصوفية[1]، وحوله جماعة من كبار المشايخ لاستقبال جلالته بما يليق بمقامه الكريم ثم ألقيت قصة المولد الشريف.

وما إن وصل القارئ إلى ذكر مولده ﷺ حتى نهض الملك واقفًا إجلالاً وإعظامًا لهذه الذكرى الكريمة وبوقوفه وقف الجمع الحاشد في كمال الخشوع والإكرام، وعند الانتهاء من إلقاء القصة والدعاء للملك بدأ القراء في تلاوة ما يتيسر من القرآن الكريم بترتيل حسن وتنغيم مطرب جميل وجميع القراء من مشهوري المجودين ومذكوري الملحنين وأصحاب الأصوات الشجية والأنغام العذبة الندية ثم تقدم الخدم والفراشون بصواني الحلوى وأكواب المرطبات إلى بين يدي الملك ليتناول منها ما يشاء كما أديرت بعد ذلك على سائر الحاضرين فتناول كل أحد منهم ما لذ وطاب، وفي أثناء إلقاء القصة الشريفة لم تنقطع المدافع عن دويها المطلق بنظام محكم وترتيب بديع، كما أخذ المذيع بالراديو في ترديد القصة من أبواقه لإسماع الجمهور، وبعد ذلك نهض الملك وقرأ الفاتحة، وشاركه في قراءتها جميع الحاضرين" وقال السندوبي - أيضًا - في معرض كلامه عن المولد سنة ١٣٦٦هـ: "وفي صبيحة يوم اثنا عشر من ربيع الأول عطلت أعمال الحكومة في وزاراتها ودواوينها ومصالحها، كما عطلت الأعمال في الدوائر المالية

(١) وهو في ذلك الوقت أحمد مراد البكري. السندوبي، حسن السندوبي، **المرجع السابق** ص١٩٠.

والتجارية احتفالا بذكرى المولد النبوي الشريف على جاري العادة"[1].

فما تقدم من النصوص التي وصفت طريقه إحياء المولد النبوي في عصور مختلفة وما يصاحب مراسم هذه الاحتفالات من الأكل والشرب وإنشاد القصائد، واختلاط النساء بالرجال، وما تحمله من مفاسد.

وربما شذ عن هذه القاعدة أناس فعلوا ذلك عن حسن نية فهم يثابون على قصدهم الحسن، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية[2] حيث قال: "وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ والله يثيبهم على المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدا مع اختلاف الناس في مولده".

الدليل الرابع:

إيراد الإمام السيوطي – رحمه الله- لـ سبط الجوزي في رسالته الحاوي صاحب كتاب (مرآة الزمان) حيث نجد إن لسبط الجوزي دليل لا يكون حجة فيما نقل وفيما نصه: "قال سبط الجوزي في مرآة الزمان حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد انه عد في ذلك السماك خمسة آلاف رأس غنم مشوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى. . . . . "[3].

قال شيخ الإسلام: "هذا الرجل أي يوسف بن قزاوغلي سبط ابن الجوزي صاحب (مرآة الزمان) ليذكر في مصنفاته أنواعًا من الغث والسمين، ويحتج بأغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه فكانت طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أي مدينة؟ ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب للخلفاء الراشدين

---

(١) **المصدر نفسه** ص٢١٢.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ا لمرجع السابق ص٢٩٥.

(٣) ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف، **مرآة الزمان**، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ت: جنان خليل.

وغيرهم من الصحابة، لأجل مذاهب من قصد بذلك من الشيعة، ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم"[1].

والرد عليه بما يأتي:

قال الحافظ الذهبي: "يوسف بن قزاوغلي الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي، روى عن جده وطائفة، وألف كتاب (مرآة الزمان) فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه ثقة فيما ينقله بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك، مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق.

قال الشيخ محيي الدين السوسي: "لما بلغ جدي موت السبط ابن الجوزي قال: "لا رحمه الله، كان رافضيًا"[2].

وقد نقل العلامة أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري[3]عن الحافظ الذهبي طعنه في سبط ابن الجوزي ونصه: "قال الذهبي في الميزان وألف مرآة الزمان فرآه يأتي فيه بمناكير الحكايات وما أظنه ثقة فيما ينقله، بل ينخس ويجازف ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك"[4].

قال الحافظ ابن كثير في ترجمة سبط ابن الجوزي[5] بعد ذكره ثناء الشيخ شهاب الدين أبي شامة على سبط ابن الجوزي قال: "لكنه – أي ابن شامة- قال: "قد كنت مريضا ليلة وفاته

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **منهاج السنة النبوية** ج ٢ص ١٣٣، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط١، سنة ١٤٠٦هـ، ت: د. محمد رشاد سالم.

(٢) الذهبي، محمد بن عثمان، **ميزان الاعتدال للذهبي** ج ٤ص ٤١٧، الناشر: دار المعرفة للنشر والطباعة بيروت – لبنان، ت: علي محمد البجاوي.

(٣) القرشي، ابن أبي الوفا، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية** ج٢ص٢٣١، سنة ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م، ت: محمد عبد الله الشريف.

(٤) القرشي، ابن أبي الوفا، **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، المرجع السابق ص ٢٣١.

(٥) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج١٣ص١٩٤.

فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ورأيته في حالة منكرة ورآه غيري أيضًا فنسأل الله العافية".

قال ابن العماد الحنبلي[1] في ترجمة سبط الجوزي: "كان– أي سبط ابن الجوزي- في شبيبته حنبليًا وكان وافر الحرمة عند الملوك، نقله الملك المعظم إلى مذهب أبي حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال وهو على المنبر إذا كان للرجل ما يرجع عنه إلا بعيب له فيه فأي شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه؟ فقال له: اسكت، فقالله الفقير – أي الصوفي-: أما أنا فسكت وأما أنت فتكلم، فرام الكلام فلم يستطيع فنزل عن المنبر".

فتبين لنا مما تقدم إن هذه الشبه لا دليل لها لإنه قدح فيه العلماء بالضعف، والوضع للحكام لأمور توافق الخلفاء، وبذلك تقوى حجة الإمام الفاكهاني لضعف حجة الإمام السيوطي لسبط الجوزي، لان شهادته ضعيفة عند كتب التاريخ الإسلامي كابن خلكان في وغيره.

الدليل الخامس:

وأما الثناء على ابن أبي الخطاب بن دحيه الذي صنف (التنوير في مولد السراج المنير) للملك المظفر الدين صاحب إربل بأنه كان عالما من الحفاظ، فيرد عليه قدح أهل العلم فيه، فقد قال سبط ابن الجوزي في ترجمته أبي الخطاب بن دحيه من كتاب (مرآة الزمان) قال: "كان – أي أبي دحيه – في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وكان الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه"[2].

قال الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية بعد إيراده ترجمة ابن دحيه من تاريخ ابن خلكان قال: "قلت: تكلم الناس فيه –أي ابن دحيه –بأنواع من الكلام ونسبه البعض إلى الوضع في حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود إن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على إن المغرب لا يقصر، والله تعالى يتجاوز عنا

(١) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج٥ ص٢٦٧.

(٢) ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر الجوزي، **مرآة الزمان**، المرجع السابق ج ٨ ص٦٩٨.

وعنه بمنه وكرمه"[1].

ونقل ابن كثير قبل ذلك في كتابه عن ابن سبط الجوزي أنه قال في ابن دحيه: "قد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقيعة فيهم ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه – وكذبوه وقد كان الكامل مقيلا عليه، فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه"[2].

وقال عبد الرحمن السيوطي أنه أثنى على ابن دحيه ما نصه: "وكان مع معرفته وحفظه مجازفا في النقل مع الدعاوى العريضة ويستعمل حدثنا في الإجازة"[3].

و لم يتعرض في (حسن المقصد في عمل المولد) للطعن فيه رغم معرفته بحاله، بل اكتفى بقول ابن خلكان فيه (كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء)، وهذا من غرائب الأمام السيوطي.

فيتبن لنا مما تقدم إن الإمام السيوطي ذكر لنا ابن دحيه في المولد بطريقة تختلف عن ذكره في كتب أخرى

وهو يعلم حال ضعفه وقدح أهل العلم له من العلماء والمؤرخين، فنجده بذلك يناقض نفسه بنفسه وتقوى بذلك حجة الإمام الفاكهاني على الإمام السيوطي –رحمه الله–.

الدليل السادس:

أما بما ورد بأن الحزن في ذلك اليوم وهو وفاته أولى من الفرح فيه وهو يوم مولده فهذا كان ردا بما قاله الإمام السيوطي، حيث قال: "من إن الشريعة حثت على إظهار شكر النعم، والصبر والسكوت عند المصائب، فيأمر بالعقيق وهو إظهار شكر وفرح بالمولود وينهى عن

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، المرجع السابق ج ١٣ص١٤٥.

(٢) **المصدر نفسه** ص ١٤٤.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **طبقات الحفاظ** ص ٤٨٩، سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، ت: علي محمد عمر.

الجزع والبكاء عند المصائب، فالشكر وإظهار الفرح أولى من الحزن والمصائب"[1].

فنحن نقول الرسول هو فرحه والفرحة ليس لها توقيت معين في السنة، وليست لها صورة مستمرة في السنة وليس لها أسلوب مخصص، فالفرحة هنا عامة فرحة بما انزل على النبي من تشريع، وفرحة بأنه رحمة للعالمين، وليس فرحة بالمولد باتخاذه بأسلوب معين وبصورة مستمرة بالسنة، فالفرحة هنا فرحة عامة وليست فرحة خاصة.

الدليل السابع:

الإمام السيوطي –رحمه الله – يرى إن المولد النبوي من البدع الحسنة التي يثاب عليها العبد لان أصل الاجتماع عند الإمام السيوطي هو قراءة القران ورواية الأخبار عن الرسول -ﷺ- حيث قال: "عندي إن أصل عمل المولد النبوي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القران ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي -ﷺ- وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها"[2].

ويرد عليه الإمام الفاكهاني إن عمل المولد من البدع حتى وان أدرج عليها الأحكام الخمسة كما قال " بدليل أنَّا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا: إما أن يكون واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا أو مكروهًا، أو محرمًا! ! وهو ليس بواجب إجماعًا، ولا مندوبًا؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المُتَدَيِّنون -فيما علمت- وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت. ولا جائز أن يكون مباحًا؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحًا بإجماع المسلمين. فلم يبق إلا أن يكون مكروهًا، أو حرامًا.

---

(١) السيوطي، جلال الدين، **حسن المقصد في عمل المولد**، المرجع السابق ج١ص١٨١.

(٢) **المصدر نفسه.**

وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أنْ يعمله رجل مِنْ عَيْن مالِهِ لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في، ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئًا من الآثام، فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام سُرُج الأزمنة، وزين الأمكنة. والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تَتبعُه، وقلبه يُؤلِمُه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لا سيما إن أنضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأ بآلات الباطل، من الدفوف، والشَّبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المُرْدة والنساء الغانيات، إما مختلطات بهم، أو مُشْرِفات، والرقص بالتثنِّي والانعطاف والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف[1].

الرد عليه بما يأتي:

١- قسم العلماء الاجتماع الذي يعمل في ربيع الأول ويسمى باسم: المولد إلى قسمين:

أحدهما: ما خلا من المحرمات فهو بدعة لها حكم غيرها من البدع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2] في "الفتاوى الكبرى": "أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي شهر رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال: عيد الأبرار- فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف الصالح و لم يفعلوها".

وقال في "الاقتضاء"[3]: "إن هذا- أي اتخاذ المولد عيدا- لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه، وقال: "ولو كان هذا خيرا محضا، أو راجحا لكان السلف -رضي الله عنهم- أحق به

(١) الفاكهاني، أبي حفص تاج الدين، **المورد في عمل المولد**، المرجع السابق ص١٧-١٨.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **مجموع الفتاوى**، المرجع السابق ص٣٥، ١٣٢-١٢٠.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، المرجع السابق ص٢٩٤، ٢٩٥.

منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله – ﷺ– وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص".

وقال ابن الحاج في "المدخل": "فإن خلا– أي المولد– منه– أي من السماع وتوابعه – وعمل طعاما فقط، ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط، إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين، وإتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه، لأنهم أشد الناس أتباعا لسنة رسول الله ﷺ، وتعظيما له ولسنته ﷺ ثم صور الفاكهاني نوع المولد الذي تكلم فيه بما ذكرناه بأن يعمل رجل من عين ما له لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئا من الآثام، وقال: فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروه وشناعة إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام.

قال الفاكهاني في "النوع الثاني" من المولد: "وهو أن تدخله الجناية وتقوى به العناية لا سيما إن أنضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملئى بآلات الباطل من الدفوف والشاببات واجتماع الرجال مع الشبان المرد والنساء والفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات ويرقصن بالتثني والانعطاف والاستغراق في اللهو".

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ولا يستحسنه ذو المروءة من الفتيان، وإنما يحلو لنفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال ابن الحاج[1] في "المدخل": "إن نية المولد بدعة، ولو كان الاشتغال في ذلك اليوم بقراءة صحيح البخاري".

فتبين لنا مما تقدم إن المولد وان احتوى على ما هو مرغوب فيه كالصلاة على النبي ﷺ وسماع بعض الفوائد العلمية وقراءة سيرة الرسول ﷺ، وهذه كلها مرغوب فيها بلا شك ولهذا ليس الإشكال هنا وإنما الإشكال هنا في تخصيص أسلوب معين وفي وقت معين وعلى هيئة مخصوصة بحيث يصبح الذكر والصلاة على النبي ﷺ مع غيرها بمثابة عمل وأحد له صفته

(١) ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن العبدري المالكي، **المدخل**، المرجع السابق ج ١ص ٤٩١.

المخصوصة التي يتقرب بها على جهة التعبد.

فالمسلمون يجتمعون في الصلوات الخمس وفي الجمع وفي الأعياد وفي حلقات العلم وما هم بحاجة إلى جلسة سنوية الدافع عليها في الغالب الحظوظ النفسية من سماع طرب والأكل والشرب.

المبحث الثاني

الظروف التاريخية المحيطة والمؤثرة على موقفهما

عند حديثنا عن الدولة الفاطمية كما قلنا في الفصل السابق من الصعب إن نجد معلومات بكامل الدقة فكذلك في الدولة المملوكية، فعند النظر إلى كتب التاريخ تعتبر فترة حكم المماليك من الفترات التاريخية المجهولة عند كثير من المسلمين بل عند كثير من مثقفي المسلمين، وذلك قد يكون راجعًا لعدة عوامل ولعل من أهم هذه العوامل ما يأتي[1]:

١- إن الأمة الإسلامية في ذلك الوقت كانت قد تفرقت تفرقًا كبيرًا، حتى كثرت جدًا الإمارات والدويلات، وصغر حجمها إلى الدرجة التي كانت فيها بعض الإمارات لا تتعدى مدينة واحدة فقط وبالتالي فدراسة هذه الحقبة تحتاج إلى مجهود ضخم لمتابعة الأحوال في العديد من الأقطار الإسلامية.

٢- كثرة الولاة والسلاطين في دولة المماليك ذاتها.

٣- كثرة الانقلابات والاضطرابات العسكرية في فترة حكم المماليك، فقد قتل من السلاطين التسعة والعشرون، وخُلع اثنا عشر، وهكذا كانت القوة والسلاح هي وسيلة التغيير الرئيسية للسلاطين.

٤-تزوير التاريخ الإسلامي، والذي تولى كبره المستشرقون وأتباعهم من المسلمين المفتونين بهم، والذين شوهوا تاريخ المماليك لإنجازاتهم المشرقة والهامة والتي كان منها وقوفهم سدًا منيعًا لصد قوتين عاتيتين من قوى الشر التي حاولت هدم صرح الإسلام، وهما التتار والصليبيون.

كان قيام دولة المماليك في مصر سنة ٦٤٨ هـ /١٢٥٠ م وليدة ظروف سياسيه وحربية

---

(١) السرجاني، راغب السرجاني، **قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**، ج١ص١٨٠، الناشر: مؤسسة اقرأ، ط١، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦.

معينة فرضتها عليها الأوضاع السيئة التي مر بها العالم الإسلامي آنذاك، ففي مصر كانت بقايا الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع على الأجزاء الشمالية من مصر لم تكن قد انتهت، وفي الشام لازال الصليبيون يحتلون عددًا من المدن الساحلية، إضافة إلى أن جحافل المغول كانت تدرك حصون مدن الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى.

كل تلك العوامل والأسباب جعلت من دولةالمماليك دولة جهادية في المقام الأول، الأمر الذي دفع سلاطين دولة المماليك إلى إحاطة دولتهم الفتية بكوكبة من العلماء الأجلاء المشهود لهم بالاستقامة ليكسبوها صبغة دينية، وحتى تكون هذه الدولة موضع قبول وثقة لدى العامة والخاصة قد حرص سلاطين هذه الدولة على تقريب العلماء واستشارتهم في أحلك الظروف وهذا ما فعله السلطان قطز عشية التجهيز لمعركة عين جالوت حيث استفتى العالم الجليل العز بن عبد السلام في أخذ أموال الناس للاستعانة بها في تعبئة الجيش، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في قلوب الناس، خاصة بعد غياب الخلافة العباسية عن مسرح الأحداث، وذلك بعد سقوطها على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، ومن ثم إقدام الظاهر بيبرس من إحياء الخلافة العباسية في القاهرة سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م ليضفي بهذا العمل على القاهرة صفة الزعامة الدينية إلى جانب الزعامة السياسية بحكم أنها عاصمة دولة المماليك، حيث أصبحت القاهرة تضم بين جنباتها الخلافة والسلطة، وأضحت محط رحال العلماء والأدباء يفد إليها كل صاحب علم وبذلك احتل العلماء مكانة مرموقة في المجتمع المملوكي.

زخرت مجالس سلاطين المماليك بالعلماء والفقهاء والأدباء، الذين كانوا يؤمنون إيمانًا تامًا بأنه، باتفاق العلماء وأصحاب السلطان وتعاونهم في الخير يصلح أمر البلاد والعباد، فالعلماء ورثوا من مقام النبوة العلم، وأهل السلطان ورثوا من مقام النبوة القوة كما يصدق على هذا الحال مقولة أبي الأسود الدؤلي التي جاء فيها أنه: " ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك)"[1].

ومن أشهر هؤلاء العلماء الإمام الفاكهاني والإمام جلال الدين السيوطي، فنجد إن الإمام

(١) ابن عماد، أبو الفتوح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ص١١٥

الفاكهاني عاش في عصر المملوكي الأول "العصر البحري"، والإمام السيوطي عاش في العصر المملوكي الثاني "العصر البرجي".

من هم المماليك؟

كانت تسمية المماليك تشير إلى العبيد البيض الذين يؤسرون في الحروب أو يتم شراؤهم في الأسواق، وكان الكثير منهم جنود وقادة بالجيش، وما لبثوا أن استولوا على الحكم في نهاية حكم الدولة الأيوبية بمصر.

وهناك روايتان حول أصل المماليك، تدعي إحداهما أن المماليك ظهروا في مصر أثناء حكم الخليفة الفاطمي العزيز. أما الرواية الأخرى فتنسب أصل المماليك إلى جلب الأسرى من القفقاس وآسيا الصغرى إلى مصر من قبل السلطان الصالح أيوب[1].

والمماليك في اللغة العربية هم العبيد أو الأرقاء، وبخاصة هم الذين سُبُوا و لم يُسب آباؤهم ولا أمهاتهم ومفرد المماليك مملوك وهو العبد الذي يباع ويشترى، وقال السرجاني في كتابه: "المملوك هو العبد الذي سُبِي أبواه يعرف بالعبد القن وليس المملوك، ومع أن لفظ المماليك بهذا التعريف يعتبر عامًا على معظم الرقيق، إلا أنه اتخذ مدلولاً اصطلاحيًا خاصًا في التاريخ الإسلامي"[2].

وكان أمراء الدولة الأيوبية بوجه خاص يعتمدون على المماليك الذين يمتلكونهم في تدعيم قوتهم ويستخدمونهم في حروبهم، لكن كانت أعدادهم محدودة إلى حد ما، إلى أن جاء الملك الصالح أيوب وحدثت فتنة خروج الخوارزمية من جيشه، فاضطر رحمه الله إلى الإكثار من المماليك، حتى يقوي جيشه ويعتمد عليهم، ويستعين بهم.

حيث كان كل حاكم يتخذ منهم قوة تسانده، ودعم الأمن والاستقرار في إمارته أو مملكته

(١) قادر إسحاق، **التاريخ الشركسي** ص١٦٥، الناشر: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، سنة ٢٠٠٩ م

(٢) راغب السرجاني، **قصة التتار من البداية إلى عين جالوت**، المصدر السابق ج١ص١٨٠.

وممن عمل على جلبهم الأيوبيون. كما كان المماليك يبايعون الملوك والأمراء، ثم يدربون على الطاعة والإخلاص والولاء. وبذلك تزايدت أعداد المماليك جدًا، وخاصة في مصر[1].

مصدر المماليك:

المصدر الرئيسي للمماليك يكون إما بالأسر في الحروب أو الشراء من أسواق النخاسة، ومن أكثر المناطق التي كان يجلب منها المماليك بلاد ما وراء النهر[2]، وكانت الأعراق التي تعيش خلف هذا النهر أعراق تركية في الأغلب، وكانت هذه المناطق مسرحًا دائمًا للقتال وعدم الاستقرار، ولذلك كثر الأسرى القادمون من هذه المناطق، وكثرت أسواق الرقيق هناك، ومن أشهر مدن الرقيق في ذلك الوقت كانت "سمرقند" و"فرغانة" و"خوارزم" وغيرها.

لذلك كان الأصل التركي هو الغالب على المماليك، وإن كان لا يمنع أن هناك مماليك من أصول أرمينية ومن أصول مغولية، كما كان هناك مماليك من أصول أوروبية، وكان هؤلاء الأوربيون يعرفون بالصقالبة، وكانوا يستقدمون من شرق أوروبا بوجه خاص.

أنواع المماليك:

عرفت مصر نوعين من هؤلاء المماليك:

١- المماليك البحرية وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوب قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحر النيل [3]، أو سمّوا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطانًا.

---

(١) الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، **عجائب الآثار**، المرجع السابق ج ١ص ٢٨٣.

(٢) النهر المقصود هو نهر جيحون، وهو الذي يجري شمال تركمنستان وأفغانستان، ويفصل بينهما وبين أوزبكستان وطاجكستان.

(٣) الصلابي، محمد محمد الصلابي، **الأيوبيون بعد صلاح الدين** ج ١ص ٤٦٨، الناشر: دار المعرفة بيروت، ط١ ٢٠٠٩م.

ومن أشهر ملوكهم عز الدين أبيك وبيبرس. . . . . والمنصور قلاوون ومن أشهر العلماء في ذلك العصر العز بن عبد السلام والإمام تاج الدين الفاكهاني وغيرهم من العلماء الأجلاء [1].

٢-المماليك البرُجية أو الجراكسة، وسُمّوا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراح قلعة الجبل[٢]، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عددًا، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م) وهم ثلاثة وعشرون سلطانًاومن أشهر ملوكهم الأول برقوق وآخرهم قانصوه الغوري وكان الإمام السيوطي أحد العلماء البارزين في ذلك العصر.

أولاً: العصر المملوكي الأول (المماليك البحرية).

فيمكن تناول العصر المملوكي الأول من خلال المحاور الآتية:

١- المحور السياسي:

عند التأمل في تاريخ وظروف العصر المملوكي الأول فيعتبر عصر المماليك البحرية عصر القوة[٣] والعطاء وخير شاهد على ذلك فكان للمماليك البحرية الفضل في صد الهجمات المغولية الشرسة التي تعرض لها العالم الإسلامي وذلك على يد المظفر قطز كما كان لهم الفضل في إنهاء الوجود الصليبي في الشرق وذلك على يد الظاهر بيبرس، وكان للعلماء الدور البارز في ذلك.

عندما سقطت الخلافة العباسية، واستولى التتار على بغداد وبقية مدن العراق، ثم اتجهوا نحو بلاد الشام التي كانت مقسَّمة إلى إمارات يحكمها أمراء أيوبيون، وتمكن التتار من الاستيلاء على

(١) جاسم سلطان، **الذاكرة التاريخية للأمة** ج ١ص ٥٧، الناشر: المكتب المصري الحديث- القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

(٢) الصلابي، محمد محمد الصلابي، **الأيوبيون بعد صلاح الدين**، المرجع السابق ج ١ص ٤٦٨.

(٣) جاسم سلطان، **الذاكرة التاريخية للأمة**، المرجع السابق ج ١ص ٧٤.

حلب سنة ٦٥٧هـ/١٢٧٧م[١].

ووصلت إلى مصر صرخات أهل الشام واستغاثات أمرائهم من الأيوبيين. أن تحركوا واعملوا على إنقاذنا لقد قتلوا العباد وخربوا البلاد وأسروا النساء والأطفال وأصبحت مصر هي الأمل بعدما ضاع الأمل في الخلافة العباسية.

كانت مصر في ذاك الوقت يحكمها علي بن أيبك الذي كان في الخامسة عشرة، والذي تولى مصر بعد وفاة أبيه المعز أيبك، وكان ضعيفًا لا حول له في هذه الظروف الصعبة، وراحت مصر تتطلع إلى مملوك قوي يحمي حماها، ويصون أرضها، فالمعروف أن سلاطين دولة المماليك لم يستطيعوا الخلاص من ظاهرة اعتلاء عرش الدولة سلاطين صغار السن ويكونون أداة طيعة في أيدي بعض الأمراء الكبار أو المنفذين الذين مارسوا سلطتهم كأوصياء على أولئك السلاطين القصر، الأمر الذي طالما أفضي إلى تدهور واضح في الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية وإلى حدوث ثورات وحركات عصيان داخلية، وذلك بسبب تنافس الأمراء، وانعدام سلطة الحاكم الفعلية والذي ينتهي في الغالب إلى عزل السلطان الصغير وتعيين آخر مكانه يكون قادرًا على تحمل أعباء الحكم.

وكان للعلماء كلّ دور فاعل وواضح في هذا المجال، من ذلك ما حدث عام ٦٥٧هـ/١٢٥٨م عندما كان المغول على مشارف بلاد الشام، وسلطان البلاد المصرية هو الملك المنصور علي[٢] الذي كان صغيرًا لا يحسن إدارة أمور الدولة ومواجهة ذلك الخطر الداهم حيث أمر قطز بوصفه أحد الأمراء الغيورين على حال الأمة آنذاك بجمع الأمراء والأعيان والعلماء وكان من جملتهم المؤرخ كمال الدين بن العديم الحنفي[٣] حيث تشاوروا فيما بينهم حول مسألة استمرار المنصور على سلطانًا على الدولة أو عزله وذلك لصغر سنه، ولعدم درايته وقدرته بتدبير أمور الدولة، وقد توصل المجتمعون في نهاية الأمر إلى ضرورة أن يتولى الحكم

---

(١) الزر كلي، خير الدين بن محمود، **الأعلام**، المرجع السابق ج ٤ص ٢٦٥.

(٢) ابن تغري بردي، **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ج١ص٤٥١، الناشر: مكتبة الخانجي –القاهرة، سنة ١٩٣٨م، تحقيق محمد فهمي شلتوت، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج٧ص٥٢.

(٣) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، **الدليل الشافي**، المرجع السابق ج١ص٤٩٣

سلطان راشد يجمع كلمة المسلمين ويعد للأمر عدته وذلك بإعداد جيش يتمكن من مواجهة خطر المغول المرتقب فوقع اختيار أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء في القاهرة على قطز نفسه ليتولى أمر سلطنة المماليك في القاهرة[1] لما كان يتمتع به من دراية بميادين السياسة والإدارة والحرب كي يتخذ التدابير الكافية والمناسبة لإنقاذ أراضي الدولة المملوكية في مصر من خطر الغزو المغولي المرتقب.

وهذا ما حدث بالفعل فقد نجح قطز بفضل حكمته وشجاعته واستعانته بالرجال الأكفاء من العلماء والقادة وغيرهم في إنقاذ مصر من ذلك.

وفي هذه اللحظات التاريخية ظهر "سيف الدين قطز" وقد تولى حكم مصر، وقال قولته المشهورة: لابد من سلطان قاهر يقاتل التتار[2].

وفي أمراء الشام. خرج "سيف الدين قطز" في عساكره، حتى انتهي إلى الشام.

وكان اللقاء عظيمًا عند "عين جالوت"[3] في الخامس والعشرين من رمضان الذي وافق يوم جمعة، سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م.

ولأول مرة يلقى المغول من يصدهم ويهزمهم هزيمة ساحقة، وكان النصر لراية الإسلام وكانت صيحة واحدة صدق بها المسلمون ربهم "وإسلاماه"، وفي يوم وأحد، انقلبت الأوضاع وأذن الله بنصره بعد عصر طويل من الذل والمهانة، وبعد جبال الأشلاء وأنهار الدماء التي غرق فيها المسلمون.

---

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج٧ص٥٢

(٢) العيني، بدر الدين العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ج١ص ٥٤، سنة ١٤٠٧هـ، حققه د. محمد محمد أمين الهئية المصرية العامة للكتاب.

(٣) عبد الحليم عويس، **دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية** ج ١ص ٣٩، الناشر: دار الشروق، جدة، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ.

٢- المحور الاقتصادي:

عند هزيمة التتار انقلبت الأوضاع التجارية. . . . . لحظات حتى انتعش العصر المملوكي الأول حدث نمو تجاري قوي ونظمت التجارة الخارجية والداخلية وزادت الثروات بطريقة خيالية حتى يعتبر عصرهم من أزهى العصور في العمارة إلى جانب ازدهار الزراعة والصناعة إلى جانب تأليف الموسوعات العلمية والأدبية، ومن هذه الموسوعات التي ازدهرت في عهدهم "صبح الأعشى في صناعة الإنشاد" للقلقشندى، و"نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري.

كما ازدهرت في عهدهم التأليف التاريخية، مثل المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي، وكافة مؤلفاته، ومؤلفات ابن تغري بردي وغيرهما.

٣- المحور الديني:

إن إحياء الخلافة في القاهرة ترتب عليه أمر آخر هام، ألا وهو ترسيخ المذهب السني في أراضي الدولة المملوكية في مصر والشام والحجاز وغيرها. إذ إن نجاح بيبرس في تحقق ذلك جعل من سلاطين المماليك حماة للخلافة العباسية التي تعد رمزًا لمذهب أهل السنة والجماعة.

الأمر الذي جعل الكثير من العلماء وكذلك رسل الحكام والملوك من مختلف العالم الإسلامي يفدون إلى القاهرة لطلب التقليد لحكوماتهم فضلاً عن العلماء والفقهاء وطلبة العلم الذين كانت وفودهم تتعاقب على مصر حتى غدت القاهرة" محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء "على حد تعبير الإمام السيوطي[١].

والواقع أن هذا الحال الذي أصبحت عليها القاهرة ساعد بشكل واضح على محاربة البدع وغيرها من المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة بسبب توافد علماء أهل السنة عليها وقد أكد ذلك السيوطي خلال حديثه عن إحياء الخلافة في القاهرة بأن ذلك أدى إلى انتشار

(١) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة**، المرجع السابق ج٢ص٨١.

مذهب أهل السنة والجماعة وعفت منها البدع[1].

وكما شهدت الدولة المملوكية إلى جانب ذلك نشاطًا منقطع النظير في خدمة المذهب السني حيث عمل سلاطينها وعلماؤها على محاربة التشيع بكافة صوره والذي كان يطل برأسه بين آونة وأخرى.

فقد أشارت المصادر أن السلطان بيبرس لم يكتف في محاربة التشيع بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة، بل تعدى ذلك بأن أمر سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م بحمل الناس على إتباع المذاهب السنية الأربعة، ومنع الناس إتباع ما عداها، كما حصر وظائف القضاء ومهام التدريس والخطابة وإمامة المساجد على إتباع هذه المذاهب. فكان الجامع الأزهر يضرب أروع الأمثلة في ذلك.

فلما كانت المساجد تتخذ طابع البساطة والتواضع لان طبيعتها وما بنيت له من عبادة الله ولكن في العصر المملوكي أصبح له مجال في التعليم والتوعية.

منذ ذلك الحين انطلقت رسالة التعليم داخل المسجد، وحملت المحاريب تلك الراية في شتى مجالات العلوم: في الفقه والأصول والحديث والتفسير واللغة والأدب والتاريخ وغير ذلك، إلى أن خرّجت تلك المساجد ألوف النابغين ومئات الأئمة وأفواج المبدعين. أمثال الفاكهاني وابن حجر العسقلاني، والعز بن عبد السلام.

فانصب كثير من الجهد على الأزهر تحسينًا وتوسعة وترميما. فهذا الأمير عزا لدين أيدمرالحلي، وكان ساكنا بجوار الأزهر يستأذن السلطان بيبرس بعمارة الأزهر عام ٦٦٥هـ، فلما أذن له قام بتبليطه وتبييض جدرانه وإصلاح ما وهى منه وعمل له منبرًا خشبيًا مزخرفًا[2].

كما تبرع الأمير بيليك الخازندار بعمل مقصورة كبيرة لبعض الفقهاء الشافعية وبعض المحدثين.

كما عني الأمير سلام بعمارة الجامع بعد زلزال عام ٧٠٢هـ، وكذلك أصلحه محتسب القاهرة القاضي الاسعردي سنة ٧٢٥هـ.

---

(١) **المصدر نفسه.**

(٢) عبد الله سالم نجيب، **تاريخ المساجد الشهيرة** ج١ص٩٤.

٤- المحور التعليمي:

اعتنى المماليك بالمدارس والتعليم الديني لإزالة آثار الدولة الفاطمية فازدهرت المدارس، وكثر التأليف خاصة في التاريخ، ومن جملة السلاطين الذين اهتموا بالعلم والعلماء السلطان الظاهر بيبرس الذي نقل عنه المؤرخ السخاوي أنه كان يقول: "سماع التاريخ أعظم منا لتجارب"[(١)].

وإضافة إلى التاريخ كان بيبرس مطلعًا على كتب الأدب والفقه على المذهب الحنفي[(٢)].

ومن أشهر النواب الذين اهتموا بالعلوم والأدب والتاريخ المؤرخ الأمير بيبرس الدوادار المنصوري[٣] نائب السلطنة بالديار المصرية، فقد اشتهر بمصنفاته في التاريخ، وكانت مادة جيدة لأخبار المماليك. إضافة إلى أسلوبه المميز في الكتابة الذي غلبت عليه السلاسة والمرونة. ومن أشهر مؤلفاته في التاريخ زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، التحفة الملوكية في الدولة التركية، اللطائف في أخبار الخلائف، مواعظ الأبرار مختار الأخبار ومختصر تاريخ بيبرس.

وبرزت جمهرة من العلماء في الآداب والفلسفة: مثل ابن خلكان، وأبو الفداء والمقريزي، وابن خلدون، وابن قدامه وابن جماعة وغيرهم، وبنهضة العلماء كثرت المكتبات وانتشرت في القصور والفنادق والجامعات.

وكان رجال الدين واسطة الاتصال بينهم وبين الشعب. فكان لنتيجة الأوضاع السابقة والعلاقة الوطيدة بين الحكام والعلماء فكان من السهل على الإمام الفاكهاني إن يصدر حكمه بقوة وصدارة لان لم تكن هناك مصالح تربط الحاكم بالعالم فالإمام الفاكهاني أحد أنصار الدولة المملوكية الأولى وكان من أبرز علماء عصره في ذلك الوقت وهو في القرن الثامن الهجري فكان

---

(١) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، المرجع السابق ج٧ص٢١٠.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، المرجع السابق ج٢ ص٢٦٩، الذهبي، **ذيل تاريخ الاسلام**، ص٢٩١، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٤١٩هـ، اعتنى به مازن بن سالم باوزير.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، المرجع السابق ج٢ ص٢٦٩، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، المرجع السابق ج١ص٥٠٩-٥١٠.

عصره وقت نبوغ العلماء وكان عصر الرخاء والاستقرار حتى وفاة آخر ملوك الدولة البحرية الناصر قلاوون عام ٧٤١هـ.

٥- المحور العسكري:

إن الذي استحدثه الملك الصالح أيوب ومن تبعه من سلاطين دولة المماليك ـ.

أنه كان لا يأتي إلا بالمماليك الصغار في السن، أي في مرحلة الطفولة المبكرة، وكان غالبهم من بلاد غير مسلمة، وإن كان يحدث أحيانًا أن يؤسر بعض الأطفال المسلمين غير الناطقين بالعربية، فلا يُعرفون، ولا يُعرف أصلهم أو دينهم، فيعاملون معاملة الرقيق، وكان الصالح أيوب ومن تبعه من الأمراء لا يتعاملون مع المماليك كرقيق بل على العكس من ذلك تمامًا فقد كانوا يقربونهم جدًا منهم لدرجة تكاد تقترب من درجة أبنائهم و لم تكن الرابطة التي تربط بين المالك والمملوك هي رابطة السيد والعبد أبدًا بل رابطة المعلم والتلميذ، أو رابطة الأب والابن أو رابطة كبير العائلة وأبناء عائلته وهذه كلها روابط تعتمد على الحب في الأساس، لا على القهر أو المادة حتى إنهم كانوا يطلقون على السيد الذي يشتريهم لقب "الأستاذ" وليس لقب "السيد".

ويشرح لنا المقريزي -رحمه الله- كيف كان يتربى المملوك الصغير الذي يُشترى وهو ما زال في طفولته المبكرة، فيقول: "إن أول المراحل في حياة المملوك هي أن يتعلم اللغة العربية قراءة وكتابة ثم بعد ذلك يُدفع إلي من يعلمه القرآن الكريم ثم يبدأ في تعلم مبادئ الفقه الإسلامي وآداب الشريعة الإسلامية.

ويُهتم جدًا بتدريبه على الصلاة وكذلك على الأذكار النبوية ويُراقب المملوك مراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه فإذا ارتكب خطًا يمس الآداب الإسلامية نُبه إلى ذلك ثم عوقب"[1].

ثم إذا وصل المملوك بعد ذلك إلى سن البلوغ جاء معلمو الفروسية ومدربو القتال فيعلمونهم فنون الحرب والقتال وركوب الخيل والرمي بالسهام والضرب بالسيوف حتى يصلوا

(١) السرجاني، راغب السرجاني، المرجع السابق ج ١ص ١٨٠.

إلى مستويات عالية جدًا في المهارة القتالية والقوة البدنية والقدرة على تحمل المشاق والصعاب.

ثم يتدربون بعد ذلك على أمور القيادة والإدارة ووضع الخطط الحربية وحل المشكلات العسكرية والتصرف في الأمور الصعبة فينشأ المملوك وهو متفوق تمامًا في المجال العسكري والإداري وذلك بالإضافة إلى حمية دينية كبيرة وغيرة إسلامية واضحة وهذا كله – بلا شك – كان يثبت أقدام المماليك تمامًا في أرض القتال وكل ما سبق يشير إلى دور من أعظم أدوار المربين والآباء والدعاة وهو الاهتمام الدقيق بالنشء الصغير فهو عادة ما يكون سهل التشكيل ليس في عقله أفكار منحرفة ولا عقائد فاسدة كما أنه يتمتع بالحمية والقوة والنشاط، وكل ذلك يؤهله لتأدية الواجبات الصعبة والمهام الضخمة على أفضل ما يكون الأداء.

وفي كل هذه المراحل من التربية كان السيد الذي اشتراهم يتابع كل هذه الخطوات بدقة بل أحيانًا كان السلطان الصالح أيوب – رحمه الله – يطمئن بنفسه على طعامهم وشرابهم وراحتهم وكان كثيرًا ما يجلس للأكل معهم ويكثر من التبسط إليهم وكان المماليك يحبونه حبًا كبيرًا حقيقيًا ويدينون له بالولاء التام.

وهكذا سارت سياسية المماليك في العصر البحري إذا كان القائد يخالط شعبه ويشعر بهم ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويتألم لألمهم فإنهم – ولاشك – يحبونه ويعظمونه ولا شك أيضًا أنهم يثقون به وإذا أمرهم بجهاد استجابوا سريعًا وإذا كلفهم أمرًا تسابقوا لتنفيذه وبذلوا أرواحهم لتحقيقه.

فيمكن تلخيص مما تقدم إن المماليك خليط من الأتراك والروم والأوربيين والشراكسة جلبهم الحكام ليستعينوا بهم في القرن السادس الهجري وحتى منتصف القرن السابع.

كان كل حاكم يتخذ منهم قوة تسانده، وتدعم الأمن والاستقرار في إمارته أو مملكته، وممن عمل على جلبهم والاستعانة بهم الأيوبيون، وبخاصة في عصورهم المتأخرة لما أصابهم الضعف واحتاجوا إلى الرجال. لقد كانوا يُباعون للملوك والأمراء، ثم يُدَرَّبون على الطاعة والإخلاص والولاء.

ثانياً: العصر المملوكي الثاني: (المماليك البرجية)

نشأة المماليك البرجية:

بوفاة الناصر قلاوون بدا العصر المملوكي الثاني وهو عصر يتميز بالضعف والاضطرابات والقلاقل وكثرة الفتن، حيث بدأ العصر الجركسي بإحضار السلطان المملوكي "المنصور قلاوون" منذ عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م وقد اعتمد على فرقة من الجراكسية وليس من الأتراك أو غيرهم من الأجناس الأخرى واسكنهم قلعة الجبل ومن هنا جاء اسمهم البرجية.

وكان المنصور قلاوون يجزل العطاء وينفق أموالاً كثيرة على التجار الذين يجلبون هؤلاء المماليك وخصوصًا من بلاد الكرج بلد ومنشأ هذا الجنس.

المميزات التي جعلت السلطان قلاوون يفضل الجنس الجركسي:

١- كثرة عددهم في أسواق الرقيق في النصف الأخير من القرن السابع الهجري /الثالث الميلادي بسبب غزوات المغول لبلادهم.

٢- انخفاض أثمانهم بشكل ملحوظ بسبب كثرتهم في الأسواق.

٣- جمال الصورة، الشجاعة، الفروسية كلها مميزات ميزتهم عن باقي الأجناس ووصل عددهم في عهد السلطان قلاوون إلى ٣٧٠٠ مملوك.

فيمكن دراسة العصر المملوكي الثاني من خلال المحاور الآتية:

١- المحور السياسي[1]:

في ظل الظروف السياسية في أواخر العصر المملوك البحري وما حل بالبلاد من اضطرابات

(١) جاسم سلطان، **الذاكرة التاريخية للأمة**، المرجع السابق ج ١ص ٥٧.

أدى ذلك إلى أن شكّل المماليك البحرية طبقة مغلقة مترفعة عن الشعب، ومتقاتلة فيما بينها إلى أقص درجة، فالمماليك لم يختلطوا بسكان مصر، وترفعوا عن الناس، وكان رجال الدين واسطة الاتصال بينهم وبين الشعب. وفرضوا أنفسهم بقوة الجيش الذي استغل موارد البلاد بتعسف.

أما المماليك البرجية فقد كونهم السلطان قلاوون. ليكون طائفة جديدة من المماليك، ترتبط به، ويكون ولاؤها له. فاختار عنصرًا قوقازيًا، أطلق عليهم الشركس، وكانوا على عداء مع المماليك البحرية. وبدءوا يتدخلون في الشئون العامة تدريجيًا كمنافسين للمماليك البحرية. حتى وصلوا إلى سدة الحكم عام ١٣٨٢م.

٢- المحورالاجتماعي:

نجد إن العصر المماليك البرجية الصلة ما بين الحاكم والعالم على أساس المصالح يكون احترمهم وأكرموهم، ومن مظاهر علاقة السلاطين بالعلماء تخلي العلماء عن مناصبهم التي كانوا يشغلونها احتجاجًا على السلطة الحاكمة، وعلى الأوضاع السياسية الخاطئة، وذلك عندما يعجز العلماء عن إقناع السلاطين أو الأمراء بتغيير تلك الأوضاع، من ذلك ما أقدم عليه قاضي القضاة ابن دقيق العيد عندما عزل نفسه من القضاء، وحاول الأمراء استرضاءه بأن يعود لمنصبه لكنه واجه محاولات إثنائه عن قراره ذلك بالرفض التام [١].

وكذلك الإمام السيوطي حين اعتزل السلاطين، كان يحظى بالكثير من العطايا والهبات حتى يعود لمنصبه، وساءت العلاقة بين الحكام والعلماء، لأنهم كانوا يسعون وراء مصالحهم الخاصة وذلك لما اعترى الدولة المملوكية آنذاك من تدهور في الأحوال السياسية والإدارية التي انتابت الكثير من مرافق الدولة.

حيث تشير المصادر إلى أن كبار الأمراء في دولة الناصر محمد حاولوا إجبار القاضي ابن دقيق العيد سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م على إصدار فتوى مفادها جواز أخذ أموال الرعية إذا طرق

(١) النويري، شهاب الدين احمد، **نهاية الارب في فنون الادب**، ج ٣٢ ص١٢، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فوتز، الذهبي، شمس الدين محمد، **تذكرة الحفاظ** ج٤ ص٤٨١-٤٨٣، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.

العدو بلاد المسلمين، وذلك بسبب اقتراب خطر المغول، لكن الشيخ رفض ذلك بسبب إسراف الأمراء وتنافسهم في الملبس والمأكل وغيرها من أساليب الترف والبذخ[١]، حتى وصل الأمر إلى رفض المماليك على العلماء ركوب الخيل باعتبارها درجة لا ينالها إلا المماليك. [٢]

فقد عاصر الإمام السيوطي وغيره من العلماء الأجلاء حقبة التقلبات السياسية والصراعات التي حدثت بين عدد من الأمراء أبان حكم الناصر محمد بن قلاوون.

بينما العصر المملوكي البحري كانت العلاقة مابين الحاكم والرعية علاقة تقوم على أساس الاحترام وكان العلماء هم الواسطة ما بين الحاكم والرعية.

ومن ذلك ما حدث سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، عندما عزم السلطان الظاهر بيبرس الخروج من مصر، لاستعادة الأراضي التي كان المغول قد استولوا عليها في بلاد الشام، بهدف تقسيمها على جنوده، حيث تصدى له العلماء وأنكروا عليه فعله ذلك، وكان في مقدمة هؤلاء العلماء الإمام النووي[٣] الذي نصح الظاهر بيبرس بالعدول عن أخذ أملاك الناس وحادثه في ذلك مرارًا وهو بدار العدل، ومن ثم أرسل له رسالة مطولة تضمنت عدم جواز أخذ الأراضي والأملاك من أصحابها، وذكره بأن من جملة.

أصحاب هذه الأملاك أيتام وأرامل وضعفاء ومساكين، والسلطان ممن ينقاد لأوامر الشرع فالأولى أن يطبقها هنا، فرد عليه الظاهر برسالة فهم الإمام النووي من محتواها أن السلطان الظاهر يجهل بعض أحكام الجهاد، فرد عليه الإمام برسالة مطولة، أوضح له فيها بعض أ حكام الجهاد الخاصة بأخذ الأراضي، وأن هؤلاء الأجناد يأخذون رواتب من الدولة، فلا يصح أن يأخذوا أراضي غيرهم من المسلمين أو أن تقسم بينهم[٤].

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، المرجع السابق ج١ص٨٩٧-٨٩٨.

(٢) جاسم سلطان، **الذاكرة التاريخية للأمة**، المرجع السابق ج١ ص ٥٧.

(٣) ابن عماد، أبو الفتوح عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، المرجع السابق ج٥ ص ٣٥٤-٣٥٦.

(٤) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، **تاريخ ابن الفرات** ج٧ص١٠٨-١٠٩، تحقيق ج٨-٩. قسطنطين زريق، ج ٨ تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين.

٣- المحور الاقتصادي:

أما من الناحية الاقتصادية فكانت المماليك البرجية علاقتهم بالتجار قريبة ولكنهم كانوا يرهقونهم بالمطالب واحتقارهم للشعب والفلاحين فأرهقوا المجتمع واكتظت المدن بالفقراء والعاطلين وساءت حالة الفلاحين، ودخل المماليك التجارة بأنفسهم واحتكروا السوق، وفرضوا الضرائب، وأرهقوا التجار الأوروبيين واضطربت حالة النقد، بسبب التلاعب في موازين النقود. وكانت هذه الأوضاع المرهقة اقتصاديًا من ضمن عوامل أخرى أجبرت أوروبا على البحث عن طريق جديد للتجارة وكثرت الثورات خاصة في صعيد مصر معقل العرب.

وبالعكس مع العصر المملوكي البحري حيث حدث نمو تجاري قوي ونظمت التجارة الخارجية والداخلية وزادت الثروات بطريقة خيالية وكانت صلته بشعبه وبالمماليك صلة الأب بالابن فكانت العلاقة وطيدة والعلماء مقربون وكانوا يعلمونه ويدرسونه حتى يكونوا قيد الطاعة والولاء.

٤- المحور التعليمي:

اتسمت دولة المماليك بعصريها البحري والبرجي بأنها دولة العلم والعلماء فقد انتشرت المدارس في كافة ربوع هذه الدولة كما شهد عصريها ظهور عدد كبير من العلماء المميزين في علوم شتى ولا شك أن هذه الميزة سرت بين كافة طبقات المجتمع المملوكي بما في ذلك الطبقة الحاكمة من السلاطين والأمراء والنواب وغيرهم.

ولهذا فلا غرابة إذا ما طالعتنا المصادر بذكر عدد من السلاطين والنواب ممن كانوا على قدر كبير من الاهتمام بالعلم والمعرفة واحترام العلم وأهله، ولعل أبلغ دليل على ذلك قول المقريزي "كان السلطان وأكابر الأمراء يبالغون في إجلال القضاة والفقهاء ويرون أن بهم عرفوا الإسلام وفي بركتهم يعيشون، وحسب أعظمهم قدرًا أن يقبل يد الفقيه أو القاضي"[(١)].

ومن جملة هؤلاء السلاطين الذين اهتموا بالعلم والعلماء الملك الناصر

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، المرجع السابق ج٣ص١.

حسن بن محمد بن قلاوون الذي اهتم بالعلم، وقام بكتابة كتاب" دلائل النبوة للبيهقي"[١].

أما الملك المؤيد فقد حصل على إجازة من الحافظ شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني بقراءة صحيح البخاري كما كان يشارك العلماء الخوض في المسائل الفقهية[٢].

وكانت للسلطان الغوري اهتمامات أدبية وشعرية فقد أجاد نظم الشعر باللغة التركية. إضافة إلى حبه لقراءة التاريخ والسير والشعر[٣].

وإلى جانب اهتمام السلاطين بالعلم وبراعتهم فيه، فقد حرصوا أيضًا على أن ينال أبناؤهم قسطًا وافرًا منه، فوفروا لهم كل سبل تحصيل العلم التي جعلتهم على درجة كبيرة من العلم والثقافة، ومن أبناء السلاطين الذين اهتموا بالعلم محمد بن السلطان الظاهر جقمق [٤]الذي حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والفرائض والحديث إضافة إلى المنطق، كما قرأ على ابن حجر العسقلاني الذي أثنى عليه لحسن فهمه وحفظه وإقباله على العلم.

لكن في الآونة الأخيرة دب الضعف وكثرة القلاقل والفتن فكان له نتيجته العكسية على العلم حيث اتسعت حركة التصوف، وذلك بسبب الضغوط على الشعب والفلاحين فتركوا الدنيا ولجأوا إلى طلب الآخرة[٥].

بينما العصر المملوكي البحري على عكس ذلك حيث اعتنى المماليك بالمدارس والتعليم الديني لإزالة آثار الدولة الفاطمية من الأعياد والاحتفالات، فازدهرت المدارس، وكثر التأليف خاصة في التاريخ، وبرزت لنا جمهرة من العلماء في الآداب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم.

---

(١) **المصدر نفسه.**

(٢) ابن إياس، محمد بن احمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ج٢ص٦١، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. ابن تغري بردي، ، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج ١٣ص٢٥٧.

(٣) ابن أجا، محمود بن محمد الحلبي، **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك** ص ٢١٣ الناشر: دار الفكر سوريا، ط١، سنة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **أنباء الغمر بأنباء العمر**، المرجع السابق ج٤ ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٥) السرجاني، راغب السرجاني، **الذاكرة التاريخية للأمة**، المرجع السابق ج ١ص ٥٨.

٥- المحور العسكري:

لقد كانت دولة المماليك من الناحية السياسية الداخلية قد كثرت فيها القلاقل والفتن والتكالب على المناصب وعدم الاستقرار، حيث تفشى فيهم خلع السلاطين وقتلهم.

حيث حكم في تلك الحقبة ثلاثة وعشرين مملوكًا كما ذكرنا ذلك سابقًا، فقد تميز عصر الدولة المملوكية البرجية بتولي عدد كبير من الأطفال للسلطنة وكان أصغرهم "شهاب الدين أبو السعادات" الذي كان يبلغ عمره اقل من سنتين. هذه الحقبة كانت تسمى "فترة حكم الأوصياء".

بالإضافة إلى ذلك كانت تحصل تمردات كثيرة في الشام التي بقيت عاله على مصر والدولة المملوكية والتي كانت حصيلتها استتراف مصر وإضعاف الدولة المملوكية.

لكن هناك دورا فعال من العلماء كان بارزًا في ذلك من تهدية الأوضاع والحرص على استتاب الأمن.

وحث الناس على النفير العام والجهاد لمواجهة الأخطار التي كانت تهدد أراضي الدولة المملوكية.

ومنها على سبيل المثال ما حدث سنة ٨٢١ هـ/١٤١٨م عندما هاجم زعيم إحدى الإمارات التركمانية، وهو الأمير قرايوسف الحدود الشمالية لدولة المماليك. حيث توغلت قواته في أراضي الدولة المملوكية حتى وصلت مشارف مدينة حلب، وعندما سمع السلطان المملوكي المؤيد شيخ المحمودي بذلك الخبر، الذي أثار الهلع والخوف في نفوس الناس جمع العلماء والقضاة وعلى رأسهم شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني، واستفتاهم في قتال قرايوسف، فأجاز العلماء قتاله وكتبت فتوى بمعنى ذلك، ثم خرج شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني والقضاة الأربعة والخليفة إلى شوارع القاهرة، يحثون الناس على الجهاد ويدعونهم إلى النفير العام من أجل صد هذا العدو وهم ينادون في شوارع القاهرة: "بأن قرايوسف طرق البلاد الشامية وأنه يستحل الدماء والفروج والأموال ويخرب الديار، فالجهاد! ! الجهاد! ! ولا يتأخر أحد من المساعدة

بنفسه وبماله"[1].

أما سياستها الخارجية مع جارتها كانت علاقتها طيبة مع أغلب الدول.

منها على سبيل المثال علاقتها مع أهل الذمة، فقد وفر المماليك لأهل الذمة كل سبل العيش الكريمة داخل دولتهم، حتى إنهم تركوا لهم حرية الاتصال بالدول الأجنبية خارج دولة المماليك، فقد بقيت

الصلات وثيقة بين الطرفين، ونستشف ذلك من كتابات أحد الرحالة الرو ويدعى باسيل يوسينا كوف الذي ذكر أن رئيس الأساقفة في روسيا أرسل معه رسالة يطمئن فيها على أحوال النصارى في مصر ويطلب منهم الدعاء كما أرسل مبلغًا من المال لرهبان جبل سيناء وبطريرك الإسكندرية وذلك سنة ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م[2].

كما شملت هذه العلاقة الدولة البيزنطية حيث سمح لهم سلاطين المماليك برعاية شؤون النصارى في الدولة الإسلامية حيث أخذت الطابع الودي الممزوج بنوع من الاستعطاف والرجاء وذلك حينما يطلب أباطرة بيزنطة رعاية النصارى المتواجدين في الدولة المملوكية وهذا يرجع إلى قلة المسلمين في الدولة البيزنطية على حد رأي أحد المؤرخين[3].

وبالرغم مما سبق ذكره عن العلاقة بين الدولة المملوكية ورعاياه من النصارى، إلا أن المصادر تذكر أن أهل الذمة تمتعوا بالحياة الكريمة في ظل الحكم الإسلامي من أول الفتح الإسلامي لمصر حتى العهد المملوكي الذي تخلله بعض فترات من الاضطهاد لأهل الذمة لا تكاد أن تنتهي حتى يعود أهل الذمة لوضعهم السابق سواء في الملبس أو المركب أو حتى تقلد الوظائف الإدارية في الدولة، ويعزو أحد المؤرخ ين سبب تلك التروات والاضطهادات التي كان

---

(١) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، المرجع السابق ج٤ص٤٦٠، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المرجع السابق ج١٣ ص٢١٧.

(٢) اسكندر، فايز نجيب اسكندر، **مصر في كتابات الحجاج الروس في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي** ص٣١-٣٣، الناشر: دار الفكر الجامعي الإسكندرية.

(٣) محمود سلام شافعي، **أهل الذمة في مصرفي العصر الفاطمي الاول** ص٨٨، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م.

يقررها سلاطين المماليك على أهل الذمة في دولتهم إلى تأثير الحروب الصليبية، وما خلفته في النفوس من حقد دفين على النصارى، واعتبارهم من أتباع الصليبين.

وعلى هذا كله فالعصر المملوكي على وجه العموم بحرية وبرجيه ذو مكانة بارزة في تاريخ الإسلام، ويشهد لذلك العلماء البارزين في تلك الحقبة أمثال الإمام تاج الدين الفاكهاني والإمام جلال الدين السيوطي التي مازالت المكتبات العربية والإسلامية تزخر بهذه الكتب القيمة التي ينهل منها القارئ منها صنوف العلم والمعرفة.

لكن أود أذكر بعض مميزات كل من العصرين للأسباب التالية:

١- إزالة اللبس القائم في أذهان الناس، والذي كان يتسبَّب دائمًا بخلط هاتين الدولتين المتتابعتين مع الفارق الكبير بينهما عسكريًا، وسياسيًا، وثقافيًا، واقتصاديًا.

٢- إن دولة المماليك الشراكسة انتهت كدولة قائمة بذاتها بدخول السلطان العثماني سليم الأول مصر، ولكنَّ العثمانيين بعد فتح مصر، تركوا الحكم الفعليّ فيها للشراكسة الذين أعلنوا تبعيتهم وخضوعهم لهم.

فأهم منجزات دولة المماليك البحرية:

١- إحباط الزحف المغولي على مصر وإفريقيا على يد البطلين التركيّين: قطز، وقائد جيشه بيبرس ولولا فضلُهم لامتدَّ الطوفان المغولي شاملاً العالم القديم بأسْره.

٢- الطرد النهائي والكامل للصليبيين على يد الظاهر بيبرس ثم خلفاؤه من بعده، وقد انتهت العملية الاستئصالية للصليبيين على يد الأشرف خليل وأخيه الناصر محمد ابنا قلاوون.

٣- النشاط الاقتصادي والعمراني والثقافي الذي شهدته مصر على عهدهم، حتى غدت بديلاً عن بغداد ودمشق بعد سقوطهما في يد المغول، فأصبحتْ مصرُ على عهدهم مركزَ الحضارة الإسلامية.

٤- الإبقاء - ولو بالسيادة الروحية - على الخلافة العباسية التي أصبحَ موطنُهـــا في القاهرة بدلاً من بغداد.

٥- بفضل صلات القربى العرقية بين المغول والأتراك فقد بدأ الدين الإسلامي يتسرّب إلى قلوب المغول الأشداء، فأصبحوا فيما بعد من خيرة من شـــجّع وســـاهم في الحضارة الإسلامية فيما بعد.

بما امتازبه عصر المماليك البرجية:

دولة المماليك البرجية - الشراكسة دولة المماليك الثانية في مصر:

١- دامت ١٣٤عامًا من٧٨٤هـــ/ ١٣٨٢م إلى ٩٢٣هـــ / ١٥١٦م.

٢- هذه الدولةُ تلَتْ دولةَ المماليك البحرية مباشرةً عندما قـــام الأتابـــك برقـــوق الشركسي فخَلَعَ آخرَ ملكٍ من بني قلاوون (الأتراك)، وفَرَضَ نفسَـــه ســـلطانًا بالاتفاق مع القضاة وشيخ الإسلام والخليفة سنة ٧٨٤هـــ/١٣٨٢م.

٣- ملوك هذه الدولة معظمهم من الشراكسةباستثناء بعضهم فهو من أصل رومي أو جورجي أو تركي.

٤- لقد تخلّفَتْ مصر على أيام دولة المماليك البرجية -الشراكسة وأصابها الركـــود الثقافي والتدهور الاقتصادي والسياسي والعسكري بـــل وحـــتى الاجتمـــاعي والأخلاقي.

الخاتمة

وتشتمل على نتائج البحث والتوصيات.

أولاً: نتائج البحث

الحمد لله الذي أنعم على بإتمام هذا البحث الذي يتناول موقف الإمام السيوطي ت: ٩١١هـ من المولد النبوي وانتقاده للإمام الفاكهاني المتوفي ٧١٣هـ.

وقد وفقني الله تعالى للوصول في هذا البحث إلى نتائج طيبة من أهمها فيما يأتي:

١- إن الدولة الفاطمية هي أول من أحدثت المولد النبوي ضمن موالد واحتفالات أخرى وهي تنتسب إلى أبرز قادتها وهو عبد الله بن ميمون القداح وهو من المعتنقين المذهب الإسماعيلي.

٢- مولد النبي: هو المولد الذي ولد فيه النبي ﷺ، وقد اختلف أهل السير والمؤرخون في الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ، وفي تحديد تاريخه.

٣- أن الإمام السيوطي يرى أن المولد النبوي من البدع الحسنة لما يشتمل عليه من الذكر وقراءة القران والأخبار الواردة عن النبي ﷺ من غير زيادة على ذلك.

٤- إن عصر الإمام السيوطي عصر ممتلئ بالاضطرابات والفتن نتيجة الانقسامات في عصر المماليك البرجية.

٥- أن الإمام الفاكهاني لا يرى المولد النبوي لما يترتب عليه من المفاسد، وكان عصره تميز بالاستقرار والهدوء والرخاء وازدهار العلم والعلماء مما كان له الأثر الكبير على موقفه من المولد.

ثانيًا: التـوصيـات:

وقد خرجت من هذا البحث بهذه التوصيات:

١- إنشاء مؤسسة أو جمعية أو دار للتعريف بحقوق النبي ﷺ وطرق المحافظة عليها في وسطية بين الغلو والإجحاف للتعريف بسير ة النبي ﷺ وبيان منهجه الإسلامي القيم في جميع شؤونه حياته الاجتماعية والأسرية والدينية ومغازيه التاريخية.

٢- إن هذه الموالد والاحتفالات والأعياد قد تعددت وتطورت تطورًا واضحًا في عهد الدولة الفاطمية لكن هناك تغيرات وتطورات في عهد الدولة الأيوبية، وأن هذا يفتح المجال لبحث آخر في تطور هذه الموالد في عصور المسلمين القادم.

المصادروالمراجع

١- **ابن أجا، محمود بن محمد الحلبي، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك**، الناشر: دار الفكر سوريا، ط١، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢- **ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف، مرآة الزمان**، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م تحقيق: جنان خليل.

٣- **ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفارسي، المدخل**، الناشر: دار الفكر، سنة ١٤٠١هـ.

٤- **ابن الزيات، شمس الدين محمد، الكواكب السائرة**، سنة ١٤٢٦هـ.

٥- **ابن العباس، أحمد بن محمد المكناس، درة الحجال**، الناشر: دار التراث، ط١ سنة ١٣٩٢هـ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، أبي القاضي أحمد بن محمد.

٦- **ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، تاريخ ابن الفرات** تحقيق ج٨-٩قسطنطين زريق، ج ٨ تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين.

٧- **ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفرائد**، دار المغرب للطباعة والنشر والتأليف، الرباط، ١٩٧٦م، تحقيق محم حجي.

٨- **ابن القيم الجوزية، أبي عبد الله محمد أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نستعين**، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي.

٩- **ابن إياس، محمد بن احمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور**، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، سنة ١٤٠٤ه -١٩٨٤م

١٠- **ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية –القاهرة، ط٢، وضع حواشيه وحققه محمد أمين ونبيل محمد عبد العزيز، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور.

١١- ـــــــــــــــ، **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** سنة ١٣٩٣هـ، ت: فهيم محمد شلتوت.

١٢- **ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم**، الناشر: مطبعة السنة سنة ١٣٦٩ هـ، تحقيق محمد حامد الفقي.

١٣- ـــــــــــــــ، **قاعدة جلية في التوسل والوسيلة**، الناشر: دار البيان بيروت، ط١، سنة ١٩٨٥م، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

١٤- ـــــــــــــــ، **مجموع الفتاوى**، الناشر: دار الوفاء، ط٣، سنة ٢٠٠٥ م، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار

١٥- **ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، أنباء الغمر بأنباء العمر**، سنة ١٣٨٩هـ، تحقيق حسن حبشي.

١٦- ـــــــــــــــ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة ١٣٢٩هـ.

١٧- ـــــــــــــــ، **تبصير المنتبه بتحرير المتشبه**، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ط١، سنة ١٣٨٣هـ ت: علي البجاوي.

١٨- ـــــــــــــــ، **فتح الباري**، الناشر: أضواء السلف، ط١، سنة١٤٢٤ه تحقيق أ. د. عبد الرحيم بن محمد أحمد الشقري.

١٩- **ابن خلدون، تاريخ الفكر العربي لابن خلدون**، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- لبنان سنة ١٣٩٩هـ.

٢٠- **ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** الناشر: دار الثقافة لبنان، تحقيق إحسان عباس.

٢١- **ابن شامة، عبد الرحمن الدمشقي الشافعي، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ط١، سنة ١٤١٨هـ.

٢٢- **ابن عثيمين، محمد بن صالح عثيمين، المجموع الثمين**، الناشر: دار الوطن الرياض، ط١ سنة١٤١٠هـ جمع فهد السليمان.

٢٣- **ابن عماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، الناشر: دار ابن كثير سنة ١٤١٦ه، تحقيق محمود الأرناؤوط.

٢٤- **ابن فرحون، برهان الدين بن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة الأعيان علماء الذهب**، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة١٩٩٦م.

٢٥- **ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية**، الناشر: مكتبة المعارف بيروت.

٢٦- **ـــــــــ، السيرة النبوية**، الناشر: دار المعرفة بيروت، سنة ١٩٧١م، ت: مصطفى عبد الواحد.

٢٧- **أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي، الباعث على إنكار البدع والحوادث**، الناشر: دار الهدى القاهرة، ط١، سنة١٣٩٨ه، تحقيق عثمان أحمد عنبر.

٢٨- **اسكندر، فايز نجيب اسكندر، مصر في كتابات الحجاج الروس في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي**، الناشر: دار الفكر الجامعي الإسكندرية.

٢٩- **أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية تفسير جديد**، الناشر: دار المصر اللبنانية، ط١، سنة ١٤١٣هـ.

٣٠- **البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح باب الطيب للجمعة** الناشر: دار طوق النجاة، ط١، سنة١٤٢٢هـ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر.

٣١- **البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين**، طبع بعناية وكالة المعارف في مطبعتها البهية استانبول سنة ١٩٥١م. تحقيق محمد عبد الله الشريف.

٣٢- **جاسم سلطان، الذاكرة التاريخية للأمة**، الناشر: المكتب المصري الحديث- القاهرة، ط١ ٢٠٠٠م.

٣٣- **الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، الناشر: دار الجيل بيروت.

٣٤- **الجزري، شمس الدين بن محمد الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤٢٧هـ. تحقيق ج برجستراسر.

٣٥- **الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤.

٣٦- **حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، الناشر: دار الفكر بيروت، ط١ سنة ١٤١٩هـ.

٣٧- **حسام الدين عفانة، قواعد وأسس في السنة والبدعة**، ط١، القدس، سنة ١٤٢٢هـ.

٣٨- **حسن السندوبي، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي**، الناشر: مطبعة الاستقامة – القاهرة، سنة ١٩٤٨م.

٣٩- **حكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول**، الناشر: دار ابن القيم الدمام، ط١ سنة١٤١٠هـ تحقيق عمر محمود أبو عمر.

٤٠- **الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان**، الناشر: دار الفكر بيروت.

٤١- **الحنبلي، نجم الدين سليمان الحنبلي، التعيين بشرح الأربعين**، سنة ١٤١٩هـ تحقيق أحمد حاج عثمان.

٤٢- **الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد، تذكرة الحفاظ**، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية.

٤٣- **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، ميزان الاعتدال للذهبي** الناشر: دار المعرفة للنشر والطباعة بيروت – لبنان، تحقيق علي محمد البجاوي.

٤٤- **الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس** الناشر: دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

٤٥- **الزر كلي، الأعلام**، الناشر: دار الملايين، ط١.

٤٦- **السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** الناشر: دار مكتبة الحياة -بيروت ط١.

٤٧- **السرجاني، راغب السرجاني، قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، الناشر: مؤسسة اقرأ** ط١، سنة ١٤٢٧ه - ٢٠٠٦.

٤٨- **سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي**، الناشر: دار الفكر دمشق – بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٢هـ

٤٩- **سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، الناشر: دار النهضة العربية القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

٥٠- **السبكي، تاج الدين ابن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٩٩٩م، تحقيق مصطفى عبد القادر.

٥١- **السمعاني، محمد بن منصور، الأنساب**، الناشر: دار الجنان بيروت، ١٩٨٨م تعليق: عبد الله البارودي.

٥٢- **السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، سنة ١٩٨٨م.

٥٣- ـــــــــــــــ، **التحدث بنعمة الله**، الناشر: المكتبة العصرية بيروت، ط١ سنة ١٤٢٣هـ٢٠٠٣م، تحقيق هيثم خليفة طعيمي.

٥٤- ـــــــــــــــ، **الحاوي في الفتاوى**، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١، سنة ١٤٢١هـ، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن.

٥٥- ـــــــــــــــ، **العرف الوردي في أخبار المهدي**، سنة ١٤٧٢هـ تحقيق أبي يعلي البيضاوي.

٥٦- ـــــــــــــ، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، الناشر: دار الكتب العربية، سنة١٤٠٦هـ، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولي، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي.

٥٧- ـــــــــــــ، **المقامات**، الناشر: دار الكتب العلمية، ط، ١سنة ١٤٠٦هـ، تحقيق عبد الغفار البنداري، محمد السعيد بسيوني زغلول.

٥٨- ـــــــــــــ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، الناشر: دار الفكر، ط١، سنة ١٣٨٤هـ، تحقيق محمد أبو الفضل.

٥٩- ـــــــــــــ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ط١، سنة ١٣٨٧هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

٦٠- ـــــــــــــ، **حسن المقصد في عمل المولد**، دار الكتب العلمية، ط١، مصطفى عبد القادر عطا.

٦١- ـــــــــــــ، **تاريخ الخلفاء**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١ سنة ١٤١٨هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٦٢- ـــــــــــــ، **طبقات الحفاظ**، سنة ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م تحقيق علي محمد عمر.

٦٣- ـــــــــــــ، **طبقات المفسرين**، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة ط ١٣٩٦هـ، ت: على محمد عمر.

٦٤- **الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم موسى، الموافقات**، سنة ١٣٩٠هـ- ١٩٩٨م تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٦٥- **شوقي ضيف، المدارس النحوية**، الناشر: دار المعرفة، سنة ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

٦٦- **الشوكاني، محمد بن محمد علي بن عبد الله، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، الناشر: دار الفكر، سنة ١٤١٩ه، تحقيق حسين عبد الله العمري.

٦٧- **صالح آل الشيخ، هذه مفاهيمنا**، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث والدعوة والإرشاد الرياض سنة ١٤٠٧هـ.

٦٨- **صالح الفوزان، شرح لمعة الاعتقاد،** سنة١٤٢٥هـ، ت: عبد السلام السلمان.
٦٩- **الصلابي، محمد بن محمد، الأيوبيون بعد صلاح الدين،** الناشر: دار المعرفة بيروت ط١، ٢٠٠٩م.
٧٠- **عبد الباقي يماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة اللغويين،** سنة ١٤٠٦هـ، ط١ تحقيق عبد المجيد دياب.
٧١- **عبد الله بن محمد بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحليل لتاريخ الدولة الفاطمية،** سنة ١٤١٠هـ، تحقيق التهامي – عبد الحليم عويس.
٧٢- **عبد الله سالم نجيب، تاريخ المساجد الشهيرة،** الناشر: دار المعرفة بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٧٣- **العروسي، محمد العروسي، جلال الدين السيوطي،** ١٤٠٦هـ.
٧٤- **علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية،** ط٢، سنة١٩٦٧م.
٧٥- **العيدروسي، محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر،** الناشر: دار المكتبة العربية بغداد، سنة ١٩٣٤م.
٧٦- **الغزي، نجم الدين الغزي، الكواكب السيارة،** الناشر: محمد أمين بيروت، سنة ١٤١٨هـ وضع حواشيه خليل منصور.
٧٧- **الفاكهاني، رسالة المورد في عمل المولد،** ١٩٨٧م، ط١، تحقيق علي حسن عبد الحميد.
٧٨- **الفيروز آبادي، محمد يعقوب، القاموس المحيط،** الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت ط٢، سنة ١٤٠٧هـ.
٧٩- **قادر إسحاق، التاريخ الشركسي،** الناشر: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط١، سنة ٢٠٠٩ م.
٨٠- **القرشي، عبد القادر محمد، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية،** سنة ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.

٨١- **القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في كتابة الانشا**، سنة ١٤٠٧هـ، علق عليه وشرحه محمد حسين شمس الدين.

٨٢- **الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات**، الناشر: دار صادر بيروت، ط ١، تحقيق إحسان عباس.

٨٣- **محمد آل الشيخ، مسائل عن حكم الاحتفال بالمولد النبوي**، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ط١، ١٩٩٢م.

٨٤- **محمد مخلوف، شجرة النور الزكية**، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط١، سنة ١٤٢٤هـ، تحقيق عبد المجيد خيالي.

٨٥- **محمود سلام شافعي، أهل الذمة في مصرفي العصر الفاطمي الاول**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٥م.

٨٦- **مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح**، الناشر: دار السلام الرياض ط١، سنة ١٤١٩هـ.

٨٧- **المقريزي، أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، الناشر: دار النشر وزارة الأوقاف مصر، سنة ١٤١٦هـ، تحقيق جمال الدين الشيال.

٨٨- ـــــــــــــــ، **السلوك لمعرفة دولة الملوك**، الناشر: دار الكتب المصرية –القاهرة–سنة١٩٣٥م، نشر: محمد مصطفى.

٨٩- ـــــــــــــــ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** الناشر: مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

٩٠- **المنيع، عبد الله بن سليمان المنيع، حوار مع المالكي**، ط٤، سنة١٤٠٤هـ.

٩١- **نجاح الظهار، مصادر الإبداع عند جلال الدين السيوطي**، الناشر: مكتبة الرشد–الرياض–، ط١، سنة٢٠٠٤م.

٩٢- **النووي، أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٩٣- **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهايـــة الارب في فنـــون الادب** تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فوتز

٩٤- **النيسابوري، أسعد بن محمد بن الحسين، الفروق**، الناشـــر: وزارة الأوقـــاف والشئون الإسلامية بالكويت، ط١، سنة١٤٠٢هـــ، تحقيق د. محمد طموم.

٩٥-